الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر و فى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ فى مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد ٤١ — ٧ شعبان سنة ١٣٥٧ — أول أكتوبر سنة ١٩٣٨ — السنة الثانية

فهرس العدد

صفحة			
٩٠٦	الوصول	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ محمود بك خيرت
٩١٤	فى جوف الليل	لشاعر الهند وفيلسوفها طاغور	بقلم السيد فخرى شهاب العبيدى
٩٢١	زهرة الجبل	للكاتب الايطالى جيوفانى دى نافا	بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة
٩٣٠	الماس الثرثار	مترجمة عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبداللطيف النشار
٩٣٤	جنية البحر	للكاتب الفرنسي جول لميتر	بقلم الأديب السيد محمد العزاوى
٩٤٠	سارقة الأطفال	للكاتبين الفصصين إيركمان وشاتريان	بقلم الأديب السيد صلاح الدين المنجد
٩٤٥	فنان	للكاتب الايطالى أدريانو زوكولى	بقلم الأديب محمد حسنى
٩٥٣	الأغلال	للكاتب الفرنسى بول هرفيو	بقلم الأستاذ فيلكس فارس

الوصول

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ محمود بك خيرت

بناحية (أبو النمرس) من قرى مديرية الجيزة رجل في العقد الرابع مديد القامة نحيف الجسم خفيف الشارب، وقدمات أبواه وهو صغير فشب يعمل أجيراً في أطيان الملاك كغيره من فقراء الفلاحين.

وكان هذا الرجل طموحا حسودا لا ينحدر إلى ركن غرفته المسقفة بسعف النخيل والقش قبل أن يفكر في أحوال هؤلاء المحظوظين الذين يستعبدون الزراع في فلاحة أراضيهم وهم يقيمون في أحياء القاهرة هانئين مطمئنين فيتملكه الغيظ ويفيض صدره عليهم بالحفيظة

ينظر إلى تلك الغرفة المظلمة الرطبة فيذكر ما لهم من القصور والضياع، ويتناول طعامه البسيط الحقير فيتمثل لعينيه ما ينعمون به من ألوان الطعام الشهي. ولا ينتقل في الصباح المبكر إلى الحقل وهو بعيد عن حدود القرية حتى يخيل إليه أنه يرى عرباتهم الفخمة وخيولهم المطهمة تجرى بهم وهم غارقون في النعيم.

وهكذا يدب البغض في نفسه ويأخذ في النمو على تعاقب الأيام. وبخاصة كلما زار الناحية صاحب الأرض التي يعمل فيها وهو يصيح في رجاله وفيه: «يظهر أنك كسلان يارجل، فمن الخير أن تلتفت لعملك وإلا طردتك»

وعند ذلك يكب بفأسه على الأرض وهو يكظم غيظه ويلعن الأقدار التي حكمت هذا الرجل فيه، وقد أخذت النار تنفذ إلى جسمه، وشررها يتقد في عينيه، والفأس ترتج بين أصابعه المرتجفة حتى لتحدثه نفسه بأن يهوى بها على رأس الشيخ منعا ذلك المالك فيحطمها لولا بقية من رشد يذكر عندها ما هو فيه من مرارة اليتم والفاقة فيهدأ ثورته ويعود إلى عمله؛ حتى إذا انصرف الشيخ ألقى بفأسه على الأرض ساخطا وعاد إلى التفكير.

وكان ربحه من مزاولة الزراعة ضئيلا، فتركها وانخرط في سلك العمال الذين يشتغلون في تطهير الترع وتقوية الجسور. ثم عدل عن هذا أيضاً وفكر في أن يشترى مقدارا كافيا من التباك يمر به على هؤلاء العمال وهو يتنقل في شتى البلدان التي يكثرون فيها بسبب مشروعات الري الجديدة. حتى اجتمع لديه من المال قدر لا بأس به، فحدثته نفسه أن يزاحم صغار المقاولين الذين يعهد إليهم في تنفيذ تلك المشروعات فنجح وأصبح في رغد نسبي من العيش. ولكن عطية (وقد اشتهر بعطية الجحش) كان يطمع في أكثر من ذلك: في ضياع وقصور، وفي جاه يساعده على تحقيق أمانيه التي لا تقف عند حد والتي كان من أشهاها أن يقف يوما ما في وجه ذلك الشيخ ليصفي معه حساب ذلك الماضي القاسي.

وإذا كان عطية قد تعلم مبادىء الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وقد وفق إلى جمع هذه الثروة فان كل ذلك لم يغير من أخلاقه التي انبعثت من الشر واتجهت للشر؛ وما كان أبوه إلا لصاً خطيراً، ولا أمه إلا امرأة سليطة اللسان شريرة. حتى إن

عمه السرى تبرأ منه كما تبرأ فيما مضى منها فكان من الذين حلت عليهم لعنته واستوجبوا حقده

واتفق أن هذا الرجل الكريم كان ذات ليلة عائدا إلى داره فشعر فى جنح الظلام بمدية تغوص فى عنقه وفى صدره خر صريعاً . وقد أقام هذا الحادث رجال الحفظ وأقعدهم ، وبالرغم من عثورهم فوق جانب من سور الحديقة على أثر كف ملوثة بالدم فانهم لم يهتدوا إلى القاتل ولا الى تلك المدية . وقد رأوا أخيراً أن وقوع هذه الجريمة كان لمجرد الانتقام فاتجه خاطرهم إلى عطية الجحش لأنه ابن أخيه وابن أبيه ... وقد قوى هذه القرينة اختفاؤه من ابو النمرس مسقط رأسه، فحكم عليه بالاعدام غيابياً. ويظهر أن القتيل كان قاتاً قبل وقوع هذا الحادث، وأحس دنوّ أجله فأقام الشيخ مناع صديقه وصياً مختاراً على ولده صادق . وهكذا انتقل قصره وأملاكه التى فى أبو النمرس إلى يد الشيخ فقام على إدارتها وعنى بتربية القاصر ، حتى إذا حصل على شهادتى الدراسة الابتدائية والثانوية — كما حصلت عليها وسيمة كريمته — أوفده إلى احدى جامعات التجارة بسويسرا، كما خصص لها أساتذة يحاضرونها فى الدار لإتمام ثقافتها

أما صادق ففتى صبوح الوجه حلو الشمائل، كما أن وسيمة فتاة جذابة رشيقة الحركات ، فكان من ذلك ومن ظروف اجتماعهما تحت سقف واحد أن وقعت من نفسه كما وقع من نفسها . وساعد على نمو هذه العاطفة الطبيعية ما سبق فى نية أبيها من أن يزوجه منها إكراما لذكرى ذلك الصديق

وهكذا كانا يتكاتبان فى رسائل تفيض تارة بالحب وتارة بأحوال المجتمع أو الزواج وما تطور اليه فى العصر الحاضر، تعد من أسمى النماذج فى مثل هذه البحوث . ويتلخص رأيها في الزواج فى كتاب قيم من بين ما كانت ترسل اليه به :

القاهرة فى ٢ فبراير سنة ١٩١١

عزيزى صادق

تسلمت كتابك فخيب إلى المقام فى تلك البلاد العجيبة بجبالها الشامخة البيضاء مما جعلنى أغبطك على اجتلاء مناظرها الساحرة . وكم كان لشرحك مشاهد المتزحلقين والمتزحلقات فوق الثالج من الأثر في نفسى حتى خيل إلىّ أن أهمّ بالطيران نحو هذه الربوع لتشترك عيناى فى الاستمتاع بها مع عينيك الجميلتين .

وكم سرنى أيضا إقبالك على الدرس وأنت تشيد بطلاوة الموضوعات التى تتلقاها كما سرنى أنك من رأيى فيما أوجزته لك عن الزواج فى العهد الحالى .

والواقع أن حجر الزاوية فى الزواج السعيد هو الحب المتبادل بين الزوجين لأنهما متى امتزجت روحاهما توحّدت مصالحهما وامتنعت من بينهما أسباب الشحناء والقلق . ومثل هذا الحب يقتضى اختلاطاً بين الجنسين، حتى إذا كانت فى طبيعة كل منهما جاذبية نحو الآخر كامنة ظهرت ونمت . نعم إن آباءنا وأمهاتنا فى عهد الحجاب كانوا يمقتون مثل هذا الاختلاط وينفرون منه ، ولكن الواقع أن الرجل فى ذلك العهد ما كانت لتقع عيناه إلا على زوجه . وكذلك المرأة ، فكانت علاقة الحب تنشأ بينهما بحكم هذه الصلة الضيقة واستمرارها . وكان يساعد على ذلك ما كان الناس عليه من كرم الخلق وإنكار الذات . فكان للزواج قديماً طابع روحى شفاف لا يتأثر بمغريات المادة . أما فى عصرنا الحاضر

فقد قام منها سد منيع بين العيون والنور فلم يعد الزواج إلا صفقة بين طرفين لا يجمعهما ذلك الرباط المعنوى التجانس وإنما هو رباط من المصلحة فى صورها المختلفة من مال أو جاه أو غيرهما . وهكذا يبيع الفتى شبابه لمن هى أكبر منه سناً ليعيش عالة عليها . وتسلم الفتاة فى نفسها لا لشىء إلا إشباع أهوائها ومطامعها . وكل ذلك تحت ستار من الشريعة التى ما كانت حمايتها لغير ما يتفق مع النواميس الطبيعية

وعندى أن الفتاة التى تسقط لإطعام طفلها الجائع أو مساعدة أمها المحرمة البائسة لأكرم ألف مرة من تلك العذراء التى لا ترقى إلى سرير الزوجية إلا لتناول المال الذى فوقه لترضى به شهوات زينتها وجنونها . ولذلك فكل علاقة تتم على أساس بعيد عن تلك النواميس ، ولا تقوم إلا على غاية مادية أو مطمع يدفع إليه حب الذات ، ليست فى نظرى إلا دعارة فى أوسع معانيها وإن اختفت عنا حقيقتها تحت غلاف من عقد رسمى على يد مأذون

وكثيراً ما يتعدى هذا الاستهتار أشخاص المتزوجين إلى آبائهم وأمهاتهم فيضحون بهم على هياكل أغراضهم كأنهم من بعض السلع التى يتجرون بها لا يهمهم من أمرها أن يكون المشترى لها شيخاً أو شاباً . ولذلك أصبحنا اليوم أمام أزمة خطيرة قامت حائلا دون تحقيق الغاية المشروعة من الزواج وهى أن يكون طرفاه شريكين متضامنين لمواجهة أعباء الحياة

وما دمنا على هذا الاعتبار من المغالاة فى المهور لمجرد التباهى ، ومن سوء التدبير فى اختيار الشريك الصالح ، ومن البعد عن الروح الحقيقية التى لا يترعرع الزواج إلا بها — ما دمنا لا نتزحزح عن هذا الأساس فقل على الأسرة السلام

(رسيمة)

وقد بلغ من حب الشيخ لابنته أنه كان لا يتمرض لحريتها فى الكتابة إلى خطيبها على أى نحو تراه وهو يعلمها مثقفة عاقلة رزينة حتى كانت دائماً البادئة فى عرض ما تكتب عليه . وكم كان يلتذ الموضوعات التى تخوضها والأسلوب الذى تصوغها فيه . وكثيراً ما كان يناقشها وتناقشه وهى تعترف بخطئها إذا رأته على حق ولكنها ما كانت لترميه بالخطأ إذا ابتعد عن الصواب ، فيدرك هذا الأدب منها وهو ينظر إليها فى حنان ورفق معجباً بشعورها معتزاً بها

وكان الشيخ قد جاوز الستين وهو نحيل يشعر بالضعف فأقعده الروماتزم الذى أصابه عن الحركة وأعجزه عن الاستمرار فى إدارة مزارعه ومزارع صديقه حتى زاره ذات ليلة رجل كان قد تعرف به فى بعض مجالس جيرانه اسمه عبد الرازق بك ناصر فى العقد الخامس من عمره ، ولكنه قوى تدل ملامحه على الختل والشراسة ، إلا أنهما كانتا تختفيان وراء حديثه اللطيف أو المتكلف وبين حبات المسبحة التى كان لا يفتأ يحركها بين أصابعه

وكان الشيخ مناع يملك فى أبو النمرس حوالى مائة وخمسين فداناً جيدة التربة ، ومثلها لصديقه ، إلا أنها ارتفعت إلى مائتين بعد أن باع الشيخ منزله الذى لم تعد لصادق حاجة به ليبعده عنه فعرض عليه هذا الزائر أن يستأجرها جميعاً . وكانت فرصة سانحة فلم يتردد الشيخ فى إجابة هذا الطلب ، وقد قبل الرجل الشروط التى عرضها والقيمة التى قدرها كما

أنه أبدى استعداده لدفع نصف إيجار المدة كلها معجلا. وهكذا عاد إليه فى اليوم الثانى ومعه صورتان من العقد، أخذ يتلوه عليه حتى إذا انتهى وقعا عليهما واحتفظ الشيخ باحداهما أودعها خزانته

وبحكم هذه الصلة الجديدة كان عبد الرازق بك يزور الشيخ من وقت لآخر. وكثيراً ما كان يلتقى وسيمة وهي تطالع كتاباً أو تهيئ رسالة أو تشتغل بالابرة فى زركشة، فيحادثها ويحييه ولكن بغير أن ترفع عينيها فيه لأنها كانت إذا نظرت إليه تولاها الفزع وشعرت بالخوف . وحاجباه الكثيفان يرتفعان وينخفضان كلما تقلصت عضلات جبينه عندما يتكلم حتى لكأنهما من بعض تلك الكتل الحديدية التى يستعين بها الرياضيون فى حركاتهم البدنية . وتحت كل حاجب منهما حفرة غائرة استقرت عند قاعها إحدى عينيه الصغيرتين وهما تبرزان وتختفيان وتتسع حدقتاهما وتضيقان بتأثير الحديث كأنهما عدستا جهاز تصوير شمسي تتحركان بتأثير ما يغمر المرئيات من الظلمة أو النور . وكان إذا ضحك انفرجت شفتاه الغليظتان عن أسنان صفراء برز من بينها نابان كنابى الذئب . وفى تموجات ضحكه ما يشبه قرقرة الماء فى قنينة « النرجيلة » أو هدير الأمواج وهى ترتطم بجوانب خليج ضيق

وكان إذا يئس من تلطفها معه ساد سكوت طويل يتناول فى خلاله هذه الفتاة الخلابة الثقفة المتعالية التى تجرح دائماً عزته بسلوكها هذا معه ، وهو رجل غنى جميل الهندام فى ثوبه الأفرنكى ، وساعته الذهبية وحذائه اللامع ورباط رقبته الحريرى وهو يتموّج حول دبوس من اللؤلؤ الثمين رشقه فيه وكان قد علم بحكم اختلاطه بأبيها بالصلة التى بينها وبين خطيبها - فتثور نفسه . ويتمنى لو أنها فى يوم من الأيام تكون له فينزلها عن كبريائها ويخضعها لسلطانه .

وكانت هى أيضاً فى خلال هذا السكوت تحلل هذا المخلوق الغريب الكريه الذي ينم ظاهره عن باطن غامض خبيث . ثم تحدث نفسها كيف يطمع مثل هذا الرجل فى أن يكون يوماً ما زوجاً . بل من هى تلك الفتاة التى تقبل أن تدفن شبابها بين ساعديه إلا إذا كانت على شاكلته : والطيبون للطيبات ، والخبيثون للخبيثات

أما صادق الذى كان قد انتهى من دراسته فقد اضطر إلى البقاء فى سويسرا نظراً لقيام الحرب العالمية الماضية . وكانت مدة الايجار قد انتهت فانقطع المستأجر عن زياراته ، وحمدت وسيمة الله على هذه الفرصة التى من شأنها أن تنقطع صلته بأبيها

وكانت كتب صادق قد انقطعت عن وسيمة فأرجعت ذلك إلى صعوبة المواصلات بسبب الحرب العامة . ولكن كم كانت دهشتها حين وصل إليها كتاب منه يشكو فيه ما حل به من الضيق ويلعن هذه الحرب التى كانت سبباً فى عدم وصول نقود إليه ... حتى باع ساعته وخاتمه وبعض ملابسه وكتبه ليحفظ بثمنها القليل رمقه ...

ولكن الشيخ من عهد انتهاء العقد احتجب فى غرفته وظهرت عليه آثار الهم وبواعث التفكير . ولقد كانت وسيمة فيما مضى إذا أقبلت عليه هش لها وأنس بها فأصبح إذا وقع نظره عليها اضطرب وأخذ يحدثها وصوابه بعيد ونظراته سابحة ضالة . وهو مع ذلك يحاول أن يظهر أمامها فى مظهره الطبيعى ، ولكن تكلفه ما كان ليخفى عليها وهى

حيرى لا تفهم سبب هذا التغير الذى طرأ عليه

على أنها لم يفتها أن تكشف سر آلامه بأسلوب غير محسوس ، إلا أنه كان يتعلل بالمرض وبشواغل الدنيا ؛ فاذا ما سألته عن هذه الشواغل عاد فنفاها وهو يتململ ويرسل اليها نظرات دامعة كأنه يتوسل بها عندها لتكف عن تعذيبه .

وعند ذلك رأت أن تلجأ إلى الجانب اللين وهو أمها ولكنها ما كادت تخاطبها فى شأن أبيها حتى انهمرت دموعها وخنقها البكاء

— لاتلحى يا ابنتى فتعجلى الأيام الباقية له بعد تلك الصدمة التى أصابته

— أية صدمة ياأمى ؟ وكيف لم أعلم بها ؟ تكلمى بالله . إن هذه الصدمة إذا كانت تتناولنى أنا أيضاً فقد أصبح من حقى أن أقف عليها . وإذا كانت تقتصر عليه وحده فإن لى هذا الحق أيضاً لأنه أبى ...

— إن ذلك المستأجر الذى تعهدينه خاطبه فى شأنك

— فى شأنى أنا ؟ تريدين أنه يسعى للزواج منى؟ ان أبى لن يقبل ذلك . على انى لاأرى فى ذلك مايدعو إلى هذا الهم الذي أصبح فيه . فلم لم يبصق فى وجهه ولِمَ لم يطرده ؟

— هيهات ياوسيمة

— هيهات ؟ إذن وراء هذا الطلب ماهو أمر منه

— لقد انخدع أبوك بمظهر هذا الرجل بل هذا الشيطان . ولعلك تذكرين أن عقد الايجار كان لثلاث سنوات، فهذا العقد لم يتجدد لانتهائها، ولكن لأن ذلك الرجل جعله عقد بيع وبسلامة نية أبيك اكتفى بأن يتلوه عليه ثم احتفظ بصورته من غير أن يطلع عليها .

— وهكذا ...

— وهكذا لم يكن تعجيله لنصف الايجار وموافقته على كل شروط أبيك إلا ليوهمه بمقدرته من جهة، وليلهيه عن حقيقة مابيته له من جهة أخرى. وهكذا سجل العقد وانتقل إلى اسمه التكليف فأصبح المالك بغير منازع . ولو أن ما وقع اقتصر على ما كنا لهان الأمر ولكنه تناول أطيان ذلك الفتى المسكين . وقد لوح هذا المجرم لأبيك بأن المجلس الحسبي قد يقف على مثل هذا التصرف فيقع تحت طائلة المسئولية وتصبح سمعته مضغة فى أفواه الناس . ولعله بهذا التلويح كان يحاول الضغط عليه ليقبل ماطلبه بشأنك . ولكنه رفض .

وعند ذلك انحدرت مدامعها وقد أكبرت هذا الأب الرحيم الذى عز عليه أن يبيعها بالرغم من هذا الذى أصبح فيه . وقد أدركت أيضاً سر انقطاع النقود عن خطيبها كما أدركت خطر الهاوية التى أصبحوا جميعاً عند حافتها فعزمت على مواجهة أبيها، ولكنها أسرعت قبل ذلك فباعت ما كان لها من حلى وأضافت إلى ثمنه ما كانت قد اقتصدته ثم أرسلت بذلك كله إلى صادق وهى توصيه بالاقتصاد فى مثل ذلك الوقت الذى ارتفعت فيه أثمان الحاجات وأصبحت الأطيان يكاد إيرادها لايكفى إلا لمصاريفها وماعليها من الأموال . وبعد ذلك اندفعت إلى غرفة أبيها

— أنت هنا ياوسيمة ؟

— نعم يا أبى

— لقد ساءت صحتى؛ وكم أتمنى لو أن ساعتى تحين فاستريح من هذا العذاب

— بل تعيش ياأبى . وستنجلى هذه الغمرة

إن شاء الله . ولكني أطلب اليك شيئاً أرجو ألا يغضبك

— وما هو يا ابنتي ؟

— أن تجيب ذلك الرجل إلى ما طلبه منك بشأني

— أنا ياوسيمة ؟

— نعم .

— ومن العجيب أنك أنت التي تطلبين ذلك . فلمَ ؟

— لأنتقم

* * *

لم تقدم وسيمة على هذه التضحية إلا لتصون أولا سمعة أبيها التي تهددها المستأجر بذلك التلويح، لأنه بحكم هذه الصلة لا يجرؤ على تنبيه المجلس ولو من طريق غير مباشر . ولكن تبقى بعد ذلك أطيان صادق التي يجب أن تعود له وما كان له يد في ضياعها . هذا ما فكرت في توجيه جهودها إليه بعد أن تفرض سلطانها على هذا الغاصب الماتي الحقير

ومن غير شك أن سروره بتمام هذا الزواج كان بشيراً بوقوف الحظ إلى جانبه وقد امتلأت يده من تلك الفتاة الجميلة الجموح وأصبح سيد أبو النمرس بتلك الأطيان الواسعة وبما له من ثروته الخاصة

ولكنه مع ذلك يذكر مابينه وبينها من التفاوت في السن ، وأنها كانت مخطوبة فتى في ربيع الصبا ونضرة الشباب، فكان مجرد تسرب تلك الذكرى إلى خاطره يزعجه ويكدر عليه صفوه . نعم إنه قطع خط الرجوع على تلك العلاقة بعقد زواجه منها . ولكنه كان يريد أيضاً أن تنساها هي وأن يتصرف قلبها إليه وحده ، فاشترى لها حلياً ثمينة ونفحها مبلغاً من المال وفيراً كهدية رأى من الواجب أن يتقدم إليها بها على أثر ذلك العقد

إلا أنه بعد كل هذا يعود فيشعر بالفارق بينها وبينه من حيث الثقافة وكرم المنبت ، فكان كلما هم بالتحدث إليها في شأن الغرض من هذا الزواج ينحل عزمه ويقف لسانه في فمه . وهكذا مرّ شهر واثنان . حتى إذا ضاقت نفسه أمسك بأطراف شجاعته ولمّح لها بغرضه ؛ فأرسلت ضحكة ساخرة ساخرة وهي تقول : لمَ هذه العجلة وقد أصبحت لك ؟ ولكن الذي تطلبه أدعى إلى الصبر والتمهل حتى أروض نفسي عليك فنمتزج ونأتلف . أما قبل ذلك فلا يكون للزواج إلا معنى واحد هو الاغتصاب ولا أظن أن نفسك الرقيقة ... ترضاه

وعند ذلك يغلب عليه الخجل ويتقهقر . وقد خيل إليه مع ذلك أنها بدأت تجاهد نفسها لتنسى ذلك الذي كان أحق بها منه . وهكذا يمر شهران آخران ...

وكانت أم صادق على أثر وفاة زوجها تقيم في دار الشيخ وهي لا تجهل ما بين ابنته وولدها من الصلة، وأن النية كانت متجهة إلى زواجها منه؛ فلما رضي لها أبوها غيره انكسرت نفسها وغلب الحزن عليها وهي شيخة مضمضمة فقضت نحبها . وكان في ذلك فسحة جديدة تحول بين عبد الرازق بك المتحرّق وبين أمنيته

ولكن وسيمة في خلال ليالي المأتم طرق أذنها همس بين بعض الزائرات عن ذلك الزوج الذي صارح أباها بأنه لم يسبق له زواج مع أنه تزوج من اثنتين على التعاقب ماتت إحداهما مسمومة والأخرى محروقة. وعند ذلك اضطربت نفسها واسودت الدنيا

فى عينيها ، لأنهما إما أن تكونا آثرتا الموت على شراسة هذا الرجل؛ وإما أن يكون هو الذي قضى عليهما . وليس مثل هذا يعيد عليه وهو الذى ماتت نفسه فدس إلى أبيها ذلك العقد المزور

ولكن الذى شغل بالها وأفزعها أنها ربما كان لها عنده مثل هذا النصيب أيضا. وعندذلك تفكرفى العودة إلى حجر أبيها ثم تسمى فى الطلاق على أية صورة . إلا أنها تعود فتصطدم بذلك الغرض الذى ضحت بنفسها من أجله وهى لو فعلت ذلك لقضت على كل ما هيأت نفسها له ومهدت لهذا الوحش سبيل الخروج ظافرا بما حصل عليه دون جزاء . فشد ذلك من عزمها وضاعف شهوة الانتقام فيها وقد أصبح عليها أن تنتقم لا لأبويها وحبيبها فحسب ولكن لبنات جنسها أيضا .

لذلك رأت من حسن الرأى أن تأخذه باللطف والحيلة لتكشف حقيقته ، فلما عادت إلى داره وأثر الحزن باد فى عينيها هشت له فغمره السرور ولمس فى ذلك دليلا جديدا على تقدمها فى طريق نسيان غريمه .

وتشاء المقادير أن يسافر لشأن من الشؤون وكان قد نسى سلسلة مفاتيحه ومن بينها مفتاح مكتبه فأسرعت تعبث فى أدراجه حتى وقع نظرها على حزمة من خطابات مرسلة من بعض المقاولين بعنوان « عطية الجحش » وكانت تعلم أن هذا الرجل هو الذى حكم عليه لقتله والد حبيبها . فما الذى جعل هذه الرسائل تستقر فى هذا المكتب ؟ وما هى العلاقة التى تربط زوجها بهذا الرجل ؟ وبينما هى فى سبيل جرد ما بقى من تلك الرسائل وجدت أن إحداها خطاب مرسل من نفس ذلك القاتل وفى أسفله الرد عليه . وعند ذلك انتفضت مذعورة وكأنها استيقظت من حلم مزعج عنيف . لأنها رأت أن خط الخطاب لا يفترق فى شىء عن خط زوجها . إذن لم يكن ذلك القاتل غير هذا الذى تسكن معه وحدها فى تلك الدار . وقد وجدت أيضاً فى درج آخر مدية ذات حدين ملوثة بدم متجمد فكاد يغشى عليها وقد ارتجف جسمها وزاغ بصرها ولكنها تمالكت نفسها وأعادت كل شىء إلى مكانه وتلك السلسلة حيث وجدتها .

وكانت فترة الأربعين قد انقضت ، وسيعود من سفره فى مساء الغد ، وهو لا بد سيكرهها على تنفيذ ما يطلب منها بعد أن صبر عليها وفرغ صبره، فلم تر إلا أن توقف مأمور القسم القريب على كل ما اهتدت إلى كشفه

ولقد وقع الذى حسبته، فانها ما كادت تستقبل زوجها حتى ضمها إلى صدره وهو يقول : هذه المرة لن يقبل منك أى عذر. فحسبى تلك الشهور الطوال التى حالت بينك وبينى . تعالى يا حبيبتى. ثم جلس إلى جانبها فوق منضدة بالغرفة ، ولكنها ابتعدت عنه فاقترب هو منها قائلا :

يظهر أنك لازلت تفكرين فى ذلك الأبله الذى قطعت عليه سبيل كل أمل فيك . ثم لم لا يستمتع الكهول كالشبان بحسنات الحياة ؟ ومع ذلك فهل يظهر شبابك الغض إلا إلى جانب شيخوختى . أو يبدو رونق شعرك الفاحم إلا إذا جاوره هذا الشعر الأبيض الذى يكلل رأسى ؟ اعلمى يا وسيمة

أن أنفاسك العاطرة هى كنزى الذي يعيد إلى حرارة الحياة ، وأن سحر عينيك ليبعث فى عينىّ الذابلتين القوة والنور من جديد . فلم تقفين بينى وبين هذه السعادة ؟ تعالى يا حبيبتى . اقتربى منى

ولكنها مع ذلك ازدادت بعداً ثم التفتت تسأله:

— قل لي أولا أصحيح أنك لم تتزوج من قبلى؟

— لقد صارحت أباك بهذا

— ولكن الناس يقولون إنك تزوجت من قبل باثنتين

— كاذبون . وحتى لو صح هذا فماذا فيه ؟

— ولكنهم يقولون أيضاً إن إحداهما ماتت مسمومة والأخرى محترقة

— ليكن كل هذا . ولكن اعلمي أن الحياة مرحلة قصيرة يجب أن نجتازها من طريق المال والجاه والحب . وقد يخدع الأغبياء مظاهر التقوى بالأسارير التى تشقّ جبيني . وبهذه المسبحة التى تحرك حباتها أصابعى . وما كانت الأولى إلا سطور دهائى وتدبيرى ، ولا الثانية إلا الحبل الذى أشد به على عنق كل من يقف فى طريقى . وإذا كنت قد تزوجت باثنتين قضتا نحبهما على الصورة التى ذكرت فليس لأى كان حساب بشأنهما عندي

— وعذاب الضمير ؟

— ها . ها . وهل تريدين أن يكون لن يسعى إلى مباهج الحياة ضمير ؟ لم تكن الحياة فى أى عصر إلا شملة تسعرها المصلحة ويذكيها حب النفس . فلا تظنى أن رجل اليوم تغير عن رجل الماضى فكلاهما واحد فى البطش وان اختلفت وسائل كل منهما

— وشرف النفس ؟

— لانصيب لها منه ولا من الوجدان والرحمة وهذه الخرافات التى ينكرها كل من يريد أن يحيا . ولقد كان رجل القرون الغابرة اذا نازل خصمه ترك له السبق فى الطعن ولو مات مدفوعا إلى ذلك بفروسية ذهب زمنها . وكان قرنى اذا صرعنى ندم وبكانى . أما اليوم فقد يقتلنى فى الصباح وفى المساء ويقبل على الطعام والشراب والنساء كأن ماجرى لم يكن : هذه هى شريعة العصر الحاضر عصر المادة . وأخيراً ، فما دمت زوجتى فلا مناص لك منى

— بالقوة ؟

— بكل الوسائل . والآن لا أطلب عندك إلا كلمة واحدة نعم أولا .

— لا

— ولكنى لازلت أحتفظ بمدية غير بكر ... لأنها جربت كيف يكون مصرع كل من يتحداها فخذى حذرك واعلمى أنى قادر على أن أغيبها فى صدرك فألحقك بثينك الراحلتين وإلا لا أكن أنا عبد الرازق بك تامر ...

— أو عطية الجحش

— ماذا ؟ أوقفت على هذا أيضا ؟ إذن فلتذهبى فى أثرهما .

وعند ذلك انطلق إلى غرفة مكتبه فخرج رجال الشرطة من مكامنهم . حتى إذا عاد والمدية فى يده أحاطوا به

وهكذا نفّذ حكم الاعدام وانتصر الحق .

محمود غنيم

(٢)

في جوف الليل

للشاعر الشرقي الفيلسوف « طاغور »

بقلم السيد فخري شهاب العبيدي

« دكتور ... دكتور »

استيقظت من نومي العميق في جوف الليل فزعاً مذعوراً ، فاذا أميرنا « دوخين بابو » ... فقدمت له كرسياً بالياً أجلسته عليه ، ونظرت إلى وجهه في شيء من القلق والاهتمام ... ثم ألقيت على الساعة نظرة فاذا هي قد جاوزت منتصف الثالثة صباحاً .

قال « دوخين بابو » وقد علا وجهه شحوب ظاهر ، واتسعت عيناه :

— « إن أعراض المرض قد عادت إليّ ، ودواؤك ذاك لم يغنني في قليل ولا كثير »

فأجبته في استحياء :

— « أخشى أن تكون عدت إلى الشرب مرة أخرى »

فقال وقد بدا غضبه :

— « لقد أخطأت خطأ فاحشاً ... فليس هو الشراب ... بل عليك أن تسمع القصة كاملة لتفهم الأسباب الحقيقية »

وأدرت السراج الذي كان يتقد في المشكاة شاحباً باهتاً فازداد ضوؤه قليلا وتعالى منه الدخان؛ ثم أسبلت ردائي على كتفي وجلست على صندوق أستمع قصة « دوخين بابو »

قال :

— « من نحو أربع سنين تعضّت أصبت بمرض خطير كاد أن يودي بحياتي؛ ثم أبللت من مرضي بعد أن اشتدت علي وطأته وقرب ما بيني وبين الموت، فاسترجعت صحتي كاملة في شهر أو بعض شهر . . .

« وكانت زوجتي — خلال ذلك — لا تعرف للراحة معنى في لحظة من لحظات الليل أو النهار ، حتى لكأنها كانت تدافع رسل الموت عن الاقتراب من الباب ! ودام ذلك منها لا تطعم شيئاً ولا تأخذها سنة من الكرى ، ولا تفكر في شيء سواي

« وكان الموت كنمر خُدِع عن فريسته استلت من بين فكيه فغيبت عنه .. فلما غلب هذا الغلب ، أصاب زوجتي بضربة قوية من براثنه ، فاذا هي بعد قليل تضع طفلا ميتاً، وإذا دور عنايتي بها قد حلّ »

قال: « ولكن ذلك كان يسوؤها، فتصرخ قائلة:

— « إبتعدوا بضوضائكم عن غرفتي هذه ابتغاء مرضات الله ... »

« . . كان يزعجها كل شيء ؛ فلو ذهبت إلى غرفتها في الليل وقد اشتدت عليها الحمى فأحرك المروحة لأروحها وكأنني أروح نفسي بها ، تتنبه منزعجة ..

« ولو أخرت موعد طعامي من أجلها يكون ذلك مدعاة لتوسلات واستعطافات ترفعها إليّ ..

« ... ولو ذهبت لأقدم لها أبسط ما أستطيع من أمر خدمتها ، جزاء ما صنعت بي ، يكون لذلك في نفسها أسوأ الوقع ، فتصرخ قائلة :

« ليس للرجل أن يضج كل هذا الضجيج ! »

« أظنك رأيت حديقة داري حيث ينبسط أمامها نهر الكنج ... وهناك في ناحية الشمال كانت تقوم غرفة نومها ومن حولها حديقة اتخذتها لنفسها تكتنفها أشجار الحناء ؛ وقد كانت تلك البقعة من الحديقة هي البقعة البسيطة المتواضعة ، إذ لم تكن ترى في أصص الورد تلك الأسماء اللاتينية الطويلة

(*) من كتاب « من روائع طاغور » الذي سيصدر قريبا

معلقة على أوتار الخشب كأعلام مزوقة خافقة ؛ بل كانت أنواع الياسمين وزهور الليمون والورد هي التي تسود المكان

« وكانت تحت شجرة من أشجار « البُكُل » رخامة بيضاء اتخذتها زوجي مَغسلاً تغتسل فيه مرة أو مرتين في النهار يوم كانت لها صحتها ونشاطها . وكانت هذه الرخامة أيضاً مجلسها في أمسيات الصيف حين ينتهي عملها ، تطل منه على النهر فترى الغادين والرائحين فيه دون أن يشعروا بوجودها !

« وفي ليلة مقمرة من ليالي نيسان (ابريل) أبدت زوجتي رغبة في الخروج إلى رخامتها تلك بعد رقاد دام أياماً في سرير المرض ، لتستبدل بجو غرفتها الخانق جلسة في حديقتها هذه ... فحملتها في عناية كبيرة ووضعتها تحت الشجرة حيث تساقطت عليها بعض زهورها ، وأطل القمر من بين فروع الأشجار

« وقد كان السكون يشمل كل ما حولنا ، فلما نظرتُ إلي وجهها — وقد كانت إلى جانبي تحت الظلال القاتمة — واستنشيتُ عبير الزهور ، ترقرقت عيناي بالدموع ، فدنوت منها وأخذت إحدى يديها الفضة الحارة بين يدي فلم تمنعني ، ثم بعد أن جلست كذلك هادئاً بدأ قلبي يخفق خفقاناً شديداً ؛ فقلت لها :

« لن أستطيع يوماً أن أنسى هذا الحب ! »

« ضحكت زوجتي على أثر هذا ضحكة كان فيها بعض معاني الفرح والسرور ، وكان فيها بعض معاني الشك والارتياب ، وكان فيها أثر من التهكم المرير !

« لم تقل ما يدلّ على أنها أجابت جواباً بيناً ، ولكن ضحكتها تلك التي أرسلتها كان من جملة معانيها أن ما قلت ليس مقبولاً مُستساغاً ، بل ولا هي ترضاه !

« ... لم يكن عندي من الشجاعة ما يمكنني من أن أحبّ زوجي حباً مجرداً عن الخوف من ضحكتها الحادة تلك ؛ فكل ما أصطنع لها من الأحاديث في غيابها يصبح مبتذلاً تافهاً عندما أكون في حضرتها ! !

« ... إنك لتستطيع أن تمضي في الكلام حين تخالف في الرأي ؛ ولكن « الضحكة » لا تقرع بالحجة ولا تقابل بالبرهان ؛ وذلك ما يجعلني أقف بين يديها لا أنبس بشيء ! »

قال : « ثم ازداد ضوء القمر إشراقاً ، وصدح طائر من طيور « الكوكو » طويلا حتى ظُن أنه مأخوذ أو أصابه مس من الجنون ! فعجبت وأنا في مكاني هادئ لا أبدي حراكاً : كيف تبقى « عروس الكوكو » في مثل هذه الليلة قليلة الاهتمام كذلك ؟ »

قال : « وبعد أن لم تفد أنواع الأدوية زوجتي اقترح علينا الطبيب أن نبدل الهواء فأخذتها إلى « الله آباد »

وعند هذا الحد من الكلام توقف « دوخين بابو » فجأة وظل صامتاً ، ثم فحص وجهي بنظرة أجالها فيه وبدأ يجيل الفكر ، وقد ألقى رأسه على يده ، فبقيت أنا الآخر كذلك صامتاً

وارتجف لهب المصباح في المشكاة .. وارتفع في جو الغرفة طنين البعوض واضحاً ؛ ثم إذا « دوخين بابو » يباغتني بتبديد شمل السكون راجعاً إلى قصته ، فقال :

« عالج الدكتور « هاران » زوجي طويلا ثم علمت — من بعد ذلك — أن هذا المرض لا شفاء منه ، وأنه قد كتب على زوجتي المسكينة أن تتحمل ذلك حتى نهاية حياتها !

« عندئذ قالت زوجتي : « إذا كان مرضي هذا لا يشفى ، وليس ثمة أمل بموتي قريباً ، فلم تقضي أيامك مع هذا الميت الحي ؟ أتركني وارجع إلى أعمالك »

قال : « وكان دور ضحكي منها قد حلّ لولا أني لا أقوى على « القهقهة » مثلها فأجبتها في حشمة يتطلبها موقفي ، مؤكداً أقول :

— ما دام في جسمي حياة ...

فقاطعتني قائلة: « كفاك .. كفاك .. لست في حاجة إلى أن تقول أكثر من هذا، لأن سماعي إياك تقوله يبعث في نفسي الثورة .. ويحبب إليها ترك الحياة!

« ... لست أدري أصارحت نفسي بهذا الذي أقول أم لم أصارحها به حينذاك ، ولكني أعلم الآن علم اليقين أني كنت سئما من العناية بذلك العليل الذي لم يكن في شفائه رجاء

« ومن الواضح أن تكون اكتشفت مللي الخفي بالرغم من خدمتي لها ...

« ... ما كنت أدرك يوم ذاك أنها كانت تستطيع أن تقرأني كما يقرأ الصغار كتب « قراءاتهم الأولية » الخالية من معقد الكلمات ... ولكني الآن لا يزاولني الشك في ذلك »

قال : «وكان الدكتور «هاران» من طائفتي التي أنتسب إليها، وكانت لي في داره دعوة دائمة ليس لها انقطاع ... وبعد بضع زيارات قدمني إلى ابنته

« لم تكن ابنته متزوجة ، مع أنها كانت قد جاوزت الخامسة عشرة ، وقد اعتذر عن هذا التأخر أبوها بدعوى أنه لم يجد من يزوجها إياه من أبناء طائفته ؛ على أن الشائعة تقول إن سبب تأخرها هو مولدها الموسومُ بالعار !

« ولم تكن لها غلطة غير تلك ، وذلك ما جعلني أتحدث إليها في شتى الموضوعات وأبحث وإياها ألواناً من الأسئلة والأحاديث إلى ساعة متأخرة من الليل قبل عودتي إلى الدار حيث كان يجب علي أن أقدم الدواء لزوجتي في الوقت المعين له .. ولم يكن ليخفى على زوجتي أني كنت في دار الدكتور «هاران» ولكنها ما كانت تسألني مطلقاً عن سبب ذلك التأخر الطويل

« ... كانت غرفة المريضة تتراءى لي موحشة مزعجة فكنت لذا أتغافل عن العناية بزوجتي وأتناسى غالباً مواعيد دوائها .

« ... وكان الطبيب قد اعتاد أن يقول لي أحياناً « إن هؤلاء الذين لا أمل في شفائهم يكون لهم الموت عتقاً ... فهم ما داموا على قيد الحياة يقلقون أنفسهم ويشقون الآخرين ! » وهو قول مسموح به في « الأحوال الاعتيادية » فأما أن يقال هذا وزوجتي على حالتها تلك فشيء لا يستساغ ولا يجوز أن يذكر أبداً ؛ ولكني كنت أفترض في الأطباء قسوة القلب في مثل هذه الظروف فلا يبالون ما يقولون . »

قال : « وكنت يوماً جالساً بالقرب من إحدى المقاصير إذ سمعت زوجتي تقول بغتة : يا دكتور ! لم أراك جادا في إعطائي هذه الأدوية التي لا طائل فيها ؟ إن حياتي حين تكون مرضاً دائماً يكون من الخير أن تفكر في قتلي بدلاً من معالجتي ؟ ! »

ثم سمعت الدكتور يقول لها : « عليك ألا تتحدثي بمثل هذا الحديث ! » . . . ومتى انصرف الطبيب ذهبت إلى غرفتها وألفيت بنفسي إلى جانبها، فقالت وهي تضرب ناصيتها بلطف : « إن هذه الغرفة حارة ، فاذهب إلى نزهتك المعتادة ، إذ لولا عنايتك بي في كل مساء لفقدت شهية العشاء »

« ونزهتي المعتادة هذه معناها الذهاب إلى دار الدكتور «هاران» . وقد كنت — أنا — الذي قلت إن بعض التمارين البسيطة ضرورية للصحة والشهية لتناول الطعام ؛ وأنا الآن جد واثق من أنها كانت تتغاضى عن ذلك !

« . وقد كنت بليداً حقاً ، إذ ظننت مطمئناً إلى أنها كانت يومئذ غافلة عن هذا الخداع . »

وهنا توقف « دوخين بابو » عن الكلام واعتمد برأسه على يديه وظل كذلك صامتاً برهة من الزمن ؛ ثم إنه قال : « أعطني كوبة ماء » فناولته وشرب ثم استأنف الحديث .

قال : « وفي يوم من الأيام ابدت « مونوراما » ابنة الدكتور رغبة في رؤية زوجتي ، وما كان ذلك

ليرضيني تماماً . ولكن لم يكن لى عذر فى الرفض ، ولذلك جاءت إلي دارنا فى المساء

« كان مرض زوجتى يومئذ قد تعاظم وجاوز المعتاد ، وكان من عادتها إذا اشتد بها المرض أن تضطجع صامتة هادئة أو تقبض أصابعها علامة ما تقاسيه من ألم النزع ...

« كنت جالساً بجانبها ، وكان يسود ما حولنا السكون ، ولم تكن قد التمست منى أن أغادرها ، إما لأن قوى الكلام فيها كانت قد خارت إلى هذا الحد ، أو لأنها كانت تستشعر الراحة فى بقائى بجانبها أثناء نزعها المؤلم الشديد !

وكان مصباح النفط قد وضع بقرب الباب خشية أن يؤذى عينيها ، فكانت الغرفة يسودها الظلام والسكون ولم يكن يسمع فيها غير حسرة تفرج بها كربها حين تخف عنها وطأة المرض لحظة أو بعض لحظة . »

قال : « وفي عين هذا الوقت كان مجيء « مونوراما » ووقوفها بالباب ، فكان الضوء ينعكس على وجهها فيجلوه واضحاً فانتفضت زوجتى وقبضت على يدى قائلة : —

— « أوكى [1] ؟ »

« وفى هذه الحال ، كان يفزعها أن ترى شخصاً غريباً يقف ببابها ، فاذا هى تتساءل بهمسات تقول:

« أوكي ؟ أوكى ؟ ! » فأجبتها فى أول الأمر : لست أدرى ! ولكنى شعرت فى اللحظة التالية كأن شخصاً ألهب بدنى بالسياط فتداركت قائلاً : ألا تعلمين بأنها ابنة الدكتور ؟ فاستدارت إلىّ ونفضتنى بنظرة لم أقو معها على أن أحدق فى وجهها ، ثم التفتت إلى القادم الجديد قائلة بصوت ضعيف :

— أدخلى .. ثم قالت لى : جيء بالمصباح ..

« دخلت مونوراما » الغرفة وبدأت تكلم زوجتى قليلاً ، وانها لكذلك إذ جاء الدكتور يعود مريضته .. وكان قد جاء من الصيدلية معه بزجاجتين من الدواء . فأخرجهما قائلا لزوجتى :

— أنظرى ! هذه القنينة الزرقاء للعلاج الخارجى ، وتلك للعلاج الداخلى . وكونى شديدة الحذر من أن تخلطى بين الاثنتين فان هذا سم زعاف ! » ثم نبهنى أنا أيضاً ووضع الزجاجتين على المنضدة إلى جانبها ، فلما أراد أن ينصرف نادى ابنته لتذهب معه ، ولكنها أجابته قائلة :

— لم لا أبقى يا أبى وليس هنا من يمرضها ؟!

فتحركت شجون زوجتى عند ما سمعت منها ذلك وأجابتها تقول :

— لاتزعجى نفسك فان عندى خادمة عجوزاً تعنى بى كأمى .

قال : « وإن الطبيب لينصرف مع ابنته إذ نادته زوجتى قائلة :

— دكتور .. لقد طال جلوسه فى هذه الغرفة الضيقة الملأى بالأثاث . أفلا تأخذه إلى الهواء الطلق ؟

فالتفت الدكتور نحوى وقال يخاطبنى :

— سآخذك إلى نزهة على ضفة النهر ، وبعد تردد وامتناع نزلت على طلبه .

.. ثم انصرفنا ، وكان الدكتور قد نبه زوجتى مرة أخرى إلى ضرورة التمييز بين الزجاجتين قبيل خروجنا

« ... تناولت طعامى ليلتئذ فى دار الدكتور ؛ ثم رجعت إلى الدار متأخراً فاذا بى أرى زوجتى قد انتابها ألم شديد فسألتها :

— هل اشتد بك الألم ؟!

« ... ولكنها لم تكن تقوى على الجواب فاكتفت بأن نظرت فى وجهى . وقد رأيت — حينذاك — أنفاسها تتردد فى صدرها بمشقة وجهد شديد ! ، فأرسلت فى طلب الدكتور ..

(١) كلمة يونانية معناها : (من هذه ؟)

« وما كان الطبيب ليفهم سر هذا الألم أولا ولكنه سألها :

— هل ازداد الألم عن قبل ؟ هل استعملت ذلك الدهان ؟

قال ذلك وتناول الزجاجة الزرقاء من مكانها على المنضدة فوجدها خالية !

... فسألها الطبيب فى ثورة وحنق ظاهرين :

— أو أخذت هذا العلاج خطأ ؟! هل فعلت ؟!

فأومأت برأسها اشارة الايجاب !!

« ... فأما الطبيب فقد ركض ليحضر جهازاً خاصاً يستخرج به السم المستقر فى معدتها! وأما أنا .. فقد سقطت كمن فقد الوعى ..

قال: « وكما تحاول الأم الحنون أن تهدئ عن طفلها وطأة المرض فكذلك أراحت زوجى رأسى على صدرها ، وبلمسات أصابعها كانت تريد أن تبثنى ما كان فى نفسها من الأفكار !

« .. كانت بتلك اللمسات الخفيفة توحى إلى بالصبر ، وتمنينى بخير تؤول إليه الأمور ، وتعزينى عن نفسها بأنها ستموت مرتاحة سعيدة ، وذلك ماسيجعلنى سعيداً أنا أيضاً ..

« .. ورجع الطبيب بآلته ولكن الآلام المبرحة كانت قد أودت بحياتها ... »

ثم تناول جرعة من الماء ؛ وقال :

« ياله من حر شديد ! » ثم مشى إلى الشرفة ورجع ثم استدار اليها ثم عاد منها .. كمن يريد أن يهرب من الحرفيستعصي عليه .. ثم جلس واستأنف حديثه من جديد .

وتبينت منه أنه لم يرد أن يطلعنى على الطرف الأخير من القصة ولكن قوة خفية ساحرة منى سيطرت عليه فاجتذبت البقية منه اجتذاباً ، فقال :ـ

« ... كنت بعد زواجى من « مونوراما » كلما حدثتها فى شىء مسترسلاً معها فى الحديث رمقتنى بنظرة رزينة قوية حتى ليخيل إلىّ أن فى ذهنها عنى بعض آثار الشك التى ما كنت أقدر على أن أتفهمها عاما !

«وفى ذلك الوقت عينه .. بدأ هيامى بالشراب!»

قال : « وفى أمسية من أمسيات الخريف الباكر كنت أتجول مع « نوراما » فى بستاننا على ضفة النهر ، وكان الظلام حولنا يشعرنا أنا فى عالم خيالى ؛ والهدوء لايعكره شىء حتى ولا انتفاض أجنحة الطيور المستغرقة فى نومها العميق ، بل لم يكن على جهتى الممشى الذى كنا نسير عليه غير ذوائب السنديان الأسترالى يحركها النسيم .

« وشعرت « مونوراما » بالتعب استولى عليها فاضطجعت على تلك الرخامة البيضاء متوسدة يدها وجلست — أنا — بجانبها فكان يخيل إلىّ أن الظلام الشامل قد تكاثف بعضه مع بعض حتى بدت رقعة السماء التى كنت أحدق فيها مكتظة بالنجوم! وكان صرير بعض الحشرات تحت الأشجار يشبه تموج صوت رقيق فى طرف الصمت السفلى ..»

قال : « وكنت ليلئذ قد شربت قليلا فكأن قلبى كان رقيقاً ، سريع التأثر ؛ فلما نظرت إلى « مونوراما » فى ثوبها الفضفاض ولونها الشاحب وكانت عيناى تعودتا رؤية الظلام — أيقظ ذلك الذى رأيت فىّ شوقا لايستطيع لسانى التعبير عنه.»

قال : « وتبدت أطراف الأشجار بغتة فى مثل هيئة الحريق تعلوها حافة البدر ملونة بلون غلات الحصاد مشرقة النور تساقط الضوء على ثوب المضطجعة الأبيض ، فما كان لى أن أملك نفسى بعد ذلك . فاقتربت منها وأخذت يدها بين يدى وقلت لها:

— « مونوراما » ! وربما كنت لا تصدقين...

ولكني ... لن أستطيع برهاً أبد الآماس عليك لهذا !

« وفي اللحظة التي بدأت بها هذا الكلام تذكرت أني كنت قد قلت مثل هذا الشخص آخر

« وفي عين هذا الوقت جاء الصوت من بين ذوائب الشجر والبدر المنير ، ومن وراء ضفة الكنج البعيدة

— « هاها .. هاها ... هاها ! »

« رنة قهقهة تطوى الجو طيا ...

« لست أستطيع أن أقول أكانت ضحكة قلب محزون ، أم نوحاً شق عنان الفضاء ، ولكني عند سماعها سقطت مغمى علي

فلما أفقتُ وجدتُ نفسي في غرفتي مضطجعاً على الفراش . فسألتني زوجتي قائلة : « ماذا حل بك ؟! » فأجبتها في شيء من الاضطراب والفزع : « ألم تسمعي رنين القهقهة في السماء ؟ ! — هاها — هاها — هاها ؟ » . فتبسمت زوجي قائلة :

— « قهقهة ؟ أين هذه القهقهة ؟ إن ما سمعته كان أصوات طيور تطير ... إنك لسريع الفزع جدا ! »

« وعلمت في اليوم التالي أن ما سمعت كان ضجيج سرب من الطير اعتادت أن تهاجر في مثل هذا الفصل من كل عام إلى الجنوب ... ثم لما أمسى المساء رجعت إلى وساوسي تارة أخرى ، تخيل إلى أن السماء ترن بقهقهة عالية تمزق جلباب السكون لأقل داع ... وكان من ذلك أني لم أستطع أن أكلم « مونوراما » بكلمة واحدة عند ما تخيم جيوش الظلام ...

« وقررت أن أهجر حديقتي إلى رحلة في النهر مصطحباً معي « مونوراما » وأزالت رياح (نوفمبر) القارسة كل نخاوي فلبثت أياماً مغتبطاً سعيداً ، ثم غادرنا « الكنج » مجتازين نهر « خوري » حتى وصلنا إلى « بادما »[1]

« ... كان هذا النهر ممتداً في البطاح كثعبان مستغرق في رقدة شتوية عميقة ، وكانت في ناحية الشمال منه تتراءى شواطئ الرمل القاحلة الوحيدة متقدة في وهج الشمس ؛ وفي ناحيته تقوم أحراج العنبة (المانجو) كأنها في امتدادها واقعة في انفراج فم ذلك النهر المجنون الذي كان بين الفينة والفينة يتقلب في نومته على أرض الشواطئ المفطرة فيملأ شقوقها بخرير ولدم[2] ظاهرين

« فلما وجدنا مكاناً مناسباً رسوت بالقارب على الشاطئ »

قال : « وسرنا فأوغلنا في السير مبتعدين عن القارب ، وكان الشفق الذهبي يتضاءل شيئاً فشيئاً فبرزت السماء طافحة بنور البدر الفضي ، فشعرت وقد كان ذلك النور يملأ الفضاء الرحيب الفسيح ويتساقط على الرمال البيضاء بفيضه المتألق — شعرت كأنا نحن الاثنان منفردان نتجول في عالم الخيال على غير قصد .

« كانت « مونوراما » ترتدي ليلتئذ شالا أحمر سبلته على رأسها وكتفيها مبدية وجهها فقط ، فأخذت يدي بين يديها وقد اشتد الهدوء حتى صار جلالاً لا يمكره شيء

فقلت لنفسي في اشتياق :

— أحقاً أن في العالم مجالاً يتسع في غير هذا الفضاء الرحب تحت السماء لقلبين عرفا الحب جديداً ؟

« ثم خيل إلي أن ليس عندنا دار نأوي إليها ، فنمضي سائرين كذلك ممسكين يداً بيد ، متحررين من كل العوائق والتقاليد في هذه الطريق

(١) أسماء أنهار في جهة الشمال الشرقي من الهند والمشهور منها الأول والأخير

(٢) اللدم : صوت وقوع الشيء ، وهو المعنى المطابق للكلمة الانجليزية Thud

التي لا نعرف نهايتها تحت البدر

« ووصلنا بعد التطواف إلى بركة ماء تكتنفها رُبى الرمال من أطرافها، وكانت أشعة القمر تخترق « قلب البركة » كسيف وامض، فوقفنا هناك صامتين ونظرت «موتوراما» في وجهي متطلعة. وكان الشال قد انحسر عن رأسها فانحنيت عليها؛ وقبّلتها وإذ ذاك جاء من حيث لا أعرف خلال ذلك الصمت في تلك الصحراء النائية صوت يقول ثلاثاً في نغمة هادئة مهيبة.

— أوكي ؟ أوكي ؟ أوكي ؟

« فتراجعت إلى الوراء . وفزعت لذلك زوجي »

قال : « وفي اللحظة التالية تأكدت — أنا وزوجتي — من أن الصوت لم يكن صوت بشر ولا ملاك ، بل كان صوت طير ذُعر من مجيء القادمين في هذه الساعة المتأخرة من الليل !

« ثم ثاب إلينا رشدنا فرجعنا إلى القارب بأسرع ما استطعنا وآوينا إلى المضاجع ، وسرعان ما استولى الرقاد على «موتوراما» قال : « وفي الظلام المهيب شبه لي أن شخصاً قد وقف بجانب السرير مشيراً بأصبعه الغليظة إلى النائمة وبهمسة سألني قائلا:

— أوكي ؟ أوكي ؟ أوكي ؟ !

« فقمت مسرعاً وأشعلت السراج فاذا الشبكة ترفرف في الهواء وإذا القارب تحركه الأمواج

« وقد جمد الدم في عروقي ، وتصبب العرق غزيراً عند ما صك مسمعي رنين الضحكة : — هاها هاها — يتردد صداها بين سجف الظلماء متجولة في النهر ، بين ضفافه الرملية في الجانب الآخر ، ثم حائمة على مدن القاطمة النائمة وقراها ؛ طائفة بلا انقطاع على أقطار الأرض جمعاء ؛ ثم طفقت تتضاءل في الفضاء غير المتناهي حتى تستدق تدريجاً فاذا هي كرأس الابرة في استدقاقها !

ما كنت سمعت من قبل صوتاً نافذاً خافتاً ؛ ولا كنت ظننت أن مثل هذا الصوت في الوجود ! وعلى أنه لو كانت في جمجمتي سماء غير متناهية ولا محدودة لما استطاع ذلك الصوت — مهما أوغل في رحلته — أن يبرح ذهني .. »

قال : « وأخيراً ، وحين جاوز الأمر حدّ الاحتمال فكرت أني لن أستطيع أن أنام ما لم أطفيء السراج . وما كان أسرعني حين أطفأته فاذا أنا أسمع قريباً من كثب في جوف الظلام ذلك الصوت المبحوح قائلا :

— أوكي ؟ اوكي ؟ اوكي ؟ !»

« فطفق قلبي يخفق على وقع هذه الكلمات وبدأ يستعيد بالتدريج السؤال — أوكي .. أوكي .. أوكي ؟ — .. وفي هدأة الليل ، ومن وسط الغارب ابتدأت ساعتي المستديرة تردد السؤال : — أوكي ؟ أوكي ؟ أوكي ؟ — بفصاحة مشيرة بعقاربها إلى « مونوراما » ..

كان وهو يقص على هذا يمتقع لونه امتقاع وجوه الأموات ويتضاءل صوته ، فقلت له واضعاً يدي على منكبه : « إشرب قليلاً من الماء » ، وخفق لهب المصباح ثم انطفأ ، فوصل أذني صوت غراب ينعق ، وصفير قبرة صفراء ، وصلصلة عجلة كان يجرها الثيران ...

وكانت أمارات « دوخين بابو » المرتسمة على وجهه قد تغيرت فلم يبق في نفسه من آثار الفزع شيء ، ذلك بأنه قص على ما قص متأثراً بخوف خيالي ، مخدوعاً بسحر الليل ، فتظاهرت بتأنيبه على ذلك الخوف حتى أرَيْتُه غضبي عليه ، وانطلق فوراً وخرج تصحبه السلامة !

فتحي شهاب العبيدي

زهرة الجبل

للكاتب جيوفانى دى ناڤا
بقلم الاستاذ محمد لطفى جمعة

لما بلغت قرية مورجان نزلت بفندق «رأس الجن» وقد أطلق هذا الاسم على الفندق نسبة إلى جبل شهير هناك فى قمته صورة رأس مخيفة . وأهل القرية يروون عنها الأخبار ويتناقلون الأساطير . أما القمة ذاتها وهى إحدى قرى مقاطعة فاليه فهى راقدة فى حضن الوادى كأنها وديعة ثمينة فى يد غادة حسناء يحرسها أحد الجبابرة . وكان الناظر يرى عن يمينه جبلا آخر اسمه المنظر الجميل ؛ وما أغرب التفاوت بين الجبلين ! فان المنظر الجميل كان كأنه كتلة من الزمرد القاتم لكثرة ما فيه من الأشجار الخضراء والأجمات الملتفة والأدغال الغائمة . وبقدر ما كان جبل رأس الجن صخرياً قاحلاً كان جبل المنظر الجميل خصباً غضا . فكأنما يرى الناظر إليهما مثال الخير ومثال والشر قد اجتمعا معاً ، فان جبل المنظر الجميل تتسلقه الأبقار لترعى الكلأ الذى ينمو بغير غرس وهي تتبع في مرعاها ذكراً ضخما من أفرادها قد علق صاحبه بعنقه جرساً ليسترشد به القطيع ، وذلك الفحل المرشد لا يضل ولا يتيه في ذهابه ومجيئه وصعوده وهبوطه . أما الناظر إلى جبل رأس الجن فما كان يستبين إلا رمزاً مخيفا يبعث إلى نفسه بديبب الوجل ، وبقدر ما كانت طريق جبل الجن وعرة ومسالكها محفوفة بالمهالك كانت سبل المنظر الجميل سهلة واضحة يتبينها الطفل .

أردت يوما أن أصعد فى جبل المنظر الجميل فهدانى بعض العارفين إلى دليل يأخذ بيدى أو أقتفى أثره إذا بلغنا جهة لا يأمن فيها السائر مخاطر الوحدة . وكان الدليل شيخا بلغ العقد السابع من عمره وقد ترك كل حول فى صفحة جبينه سطراً ، كما سلب كل هم من هموم الحياة من عمره شطراً .

وكان كث اللحية مهيب المنظر حديد البصر كأنه من جوارح الطير ، مهول الخلقة قليل الكلام ، وكان اسمه جيوفانى وقد علمت أنه قضى أربعين عاماً يدل السائحين فى جبال الألب إلى أن بلغ من الكبر عتياً وأمسى عاجزاً عن تسلق شوامخ الجبال المعتمة بالجليد طول العام ففضل العزلة فى تلك القرية ليقضى فى ظلالها أيامه الأخيرة .

ثم صار صامتا وهو يجس الأرض قبل أن يطأها بهراوة مدببة وأنا أتبع له من ظله ، فإذا عبر قناة عبرتها ، وإذا اخترق غابة مرقت فيها ؛ وكنا كلما أوغلنا وعلونا مصعدين فان لنا منظر جديد تنبسط له النفس فشهدنا حقولاً ينبت فيها النرجس الغض فيحمل النسيم إلينا عطرها على أجنحته فنكاد نثمل من العبق . ثم بلغنا غابة سوداء تلامس أشجارها الباسقة مناكب الغمام ، وتتناطح أغصانها الشامخة عنان السماء ، ولو كانت فى سهول الهند لأمست عرين الآساد ومكمن النمور ، ولو كانت بباريس الفاتنة لخلق الفرنسيون منها « غاب بولونيا » تشرق فيه الشموس والأقمار ، وتسرح في مجاهله الغوانى والحور ، ولكنها هنا كغيرها من غابات سويسرا لا ترى فيها إلا نهاراً مشمساً وليلا مقمراً ، ولا تملؤها إلا رائحة الأزهار

ولا يسمع بجوانبها إلا خرير الماء وتغريد الأطيار .
فلما أن توسطنا الغابة وصلنا إلى نهر قوى الانحدار شديد التيار ولكن ماءه صاف كعين الديك، وهو من شدة انهماره يطغى على ضفتيه كأنه ينازع اليابسة ليغمرها، فسألته عن اسم هذا النهر فقال نهر المجاز؛ ولما رآنى قد ارتعت لرؤيته قال لى إنه الآن بالنسبة له فى وقت فيضانه كالحمل والذئب . فانه إذا انهمرت الأمطار فى منتصف الربيع وذاب الجليد فى جبال الجنوب حيث يوجد المنبع اندفعت أمواه هذا النهر بقوة تفوق قوة نهر الرون عند فيضانه ، وعند ذلك يطغى على الضفتين ويطمر الأرض على مسيرة نصف ميل ويحمل فى طريقه كل مايعوقه من أحجار وجذوع أشجار ورمم بالية وأوكار طيور جارحة وأفاع منسابة وذئاب عاوية ، وبالجملة لايفر من طغيانه جماد ولا نبات ولا حيوان . فلما أن توسطنا الأجمة رأيت آثار أشجار ملتفة قائمة كأنها دعائم أعز من عمد المرمر وأرفع من مسلة كليوبطره وأكبر .
فقلت لصاحبي الدليل : ماهذا الذى أرى: أمعبداً أقامه القدماء يتوسلون به إلى أرباب الغابة وآلهة الهواء؟ قال: كلا إنما تلك الأشجار هى بقايا كوخ عتيق له حديث يعد من أساطير الأولين . قلت. هل لك أن تجود على بهذا الحديث فأشكر فضلك. قال: إذن هيا بنا نجلس على بعد من ذلك النهر . فوقع نظرنا على هضبة خضراء فقصدنا اليها وأخذنا مكاننا منها وبدأ الدليل حديثه قال :

كان فى هذا المكان كوخ لامرأة مات زوجها وخلف لها ولداً وقطيعاً من الغنم فكانت تعمل ليل نهار لتحصيل الرزق وإنبات ولدها، وما زالت المرأة تعمل وتدأب وحول يجىء وحول يذهب ، حتى شب الولد وخفف عن أمه العجوز أثقالها، فكان يرعى الغنم ويصطاد الأرانب البرية ويحتطب ويحسن إلى تلك الأم التى قضت أيامها فى تربيته . وفى يوم من الأيام خرج الفتى إلى القرية يبيع فيها صوف الخراف وخرجت الأم من الكوخ وجلست على ضفة النهر وإذا بها ترى صبية جميلة لايستر بدنها إلا أطمار بالية تبكى وقد سترت وجهها بكفيها ، كما سترت جدائل شعرها كتفيها؛ وكانت بهية الطلعة رغماً من فاقتها البادية وحزنها العميق . فلما أن بصرت بالمرأة مالت نحوها وجلست على مقربة منها وزاد شهيقها وعلا صوت انتحابها ، فتحركت عاطفة الحنان فى قلب المرأة وسألتها ما يبكيها ثم ضمتها إلى صدرها فاطمأنت الفتاة وسكنت عاصفة نفسها وقالت : ليس لى أب ولا أم . وكنت أعيش مع « الراعى الصغير » يطعمنى القديد ويسقينى الحليب ، ومنذ أمس ذهب عنى وغاب ، فأخذت أبحث عنه وأناديه فلم أعثر به حتى بلغت هذا المكان . فقالت لها الأم: أترضين بهذا الكوخ مسكناً وبى أمًّا وبولدى أخاً ؟ فبكت الفتاة ولم تحر جواباً . وكان سكوتها أفصح بيان فضمتها المرأة إلى صدرها وقبلتها فى جبينها وأنهضتها وأدخلتها كوخها وأطعمتها من جوعها وأمنتها من خوفها وألبستها ثياباً بسيطة نظيفة وطيبت خاطرها وأعدت لها مكاناً على المائدة ومرقداً بجوار مرقدها وفرحت بها . ولما أن عاد الولد عشية قالت له أمه إنه رزق فى غيبته أختاً تقاسمه الخير والضير. ففرح

الفتى بها وسماها « زهرة الجبل » وقضى ثلاثتهم المزيع الأول من الليل ساهرين ، وقد استأنست البنت بعد وحشتها وأعادت عليهما نتفاً من قصتها . وكان الفتى ينظر إلى « زهرة الجبل » نظر المفتون بجمالها ، ولما أصبح انصرف الولد كعادته وأخذت زهرة الجبل، وقد اطمأنت، تحمل عن العجوز عبء حياتها المنزلية . ولما عاد الفتى أخذت تحادثه بلطف وهو يداعبها والأم تسر بذلك وتبيحه لأنها أملت أن تنشأ فى قلبيهما عاطفة الحب ، فترى بيتها آهلا بنسلهما قبل موتها . وقد دبت فى الكوخ وما حوله حياة جديدة بحول تلك الزهرة الشريدة . وزاد نشاط الفتى وصار يصيب فى الصيد المرى أكثر مما كان ، ويربح فى بيع الحليب والصوف والحطب أضعاف ربحه الأول . وكان كلما ذهب إلى القرية عاد إلى زهرة الجبل بهدية كمنديل من حرير أو عقد من خرز أو خاتم من معدن ، وهى تتقبلها بفرح عظيم ولا تكتم عنه سرورها

وفى يوم ما انحدر الفتى إلى القرية ثم عاد وجلس مطرقاً كأنه يفكر فى أمر شاغل فلم يداعب زهرة الجبل ولم يعرها التفاته الذى تعودته، فسألته أمه عن سبب انشغاله ، فقال إنه رأي فى القرية راعياً كان يعرفه منذ بضعة أعوام فلم يتعرف عليه للوهلة الأولى لما يبدو عليه من علامات الغنى واليسار . فلما سأله عن مصدر ثروته أجابه أنه تجشم أخطار السفر إلى الدنيا الجديدة التى تنبت أرضها ذهبا وتمطر لجينا ، أنى وضع الرجل فيها قدمه أو كفه لقى مالا ينتظره كأن أمنا الأرض تركت لكل منا إرثا يطالب به فى تلك البلاد العجيبة، فأقام بها بضع سنين وأحرز من المال ما أحرز ، وأنه ما عاد إلا ازائراً وسوف يرجع إلى بلاد المال والحرية فيوالى العمل حتى يملك نهراً بسفائنه أو منجما بدفائنه . فلما رأته الأم مشغول البال يكاد الحسد يأكل قلبه وحب المال يملك نفسه نظرت إليه نظرة استعطاف، ونظرت إلى زهرة الجبل وكانت صامتة ، وكأن نفسها الطاهرة النقية قد أشرفت على المستقبل الرهيب ، فقالت الأم بعد طول السكوت وقد جالت الدموع فى عينيها : إننى ياولدى لا أعوقك عن السفر فسافر إن شئت فى طلب المال إن كنت لا تقنع بمعيشتنا. وكأنما لم يدرك الولد أن فى هذا الكلام ما فيه من الاستعطاف . وكان حب المال ، والطمع فى تحقيق آمال مبهمة قد أعياه عن حب الوالدة وأنساه كل ما قاست فى سبيل تربيته ، فلم يشأ أن يجيب نداءها وكانت تظن أنه سيبقى بجانبها فى شيخوختها ولكن محبتها وكرامتها أبتا عليها أن تلح وقد علمت بفطرتها وخبرتها أن الشباب إذا تعلق بأمنية لا يتحول عن تحقيقها . أما زهرة الجبل فقد أدركت كل معنى ما دار من الحديث بين الأم وولدها ولكنها لم تستطع الكلام بل لم تكن تدرى ماذا يجب أن تقول ولكنها أدركت أن سعادتها فارقتها، فأخذت تبكى بكاء مكتوما ولكن هذا لم يلن من جمود الفتى ولم يحرك من عواطفه ساكنا . فانه فى اليوم التالى تأهب للسفر وترك المرأتين رهن الوحدة والوجل .

سافر الفتى وبقيت الأم وزهرة الجبل وقد أراحتها من عناء الحياة وحملت عنها عبء العمل .

وكانت المرأة إذا ذكرت ولدها ضمت الفتاة إلى صدرها، وإذا تاقت نفسها للحديث عنه حدثتها، وإن دعاها ألم البعد إلى البكاء بكت واستبكتها .

أرسل الفتى خطابا يصف فيه أهوال رحلته وصعوبة الحياة على القادم وشدة الصدمة الأولى التى تصيب كل مهاجم . فكانت المرأة تقرأ وتبكى وتقبل الجواب حيناً وحيناً تضمه على قلبها كأنه جزء من ولدها . ثم جاء كتاب آخر ينبئها بأنه مريض وطريح الفراش، وأن أمله فى الاثراء بل فى الحياة ضعيف ويحن فيه إلى عيشته الهادئة فى الكوخ الجميل ويذكر الجلوس على ضفة النهر ويتحدث بجمال زهرة الجبل . فزاد قلق المرأة وذهب هناؤها وتزعزعت أركان صبرها لبعد ولدها، ولزمها الحزن والبكاء حتى ابيضت عيناها ، وملك ألم الفراق عليها قلبها وهي لا تعلم إلى أى مكان تبعث بخطابها ولا تدرى كيف تستقدمه من الدنيا الجديدة . وكانت تتخيلها لجهلها عالماً آخر غير دنيوى .

ذهب الصيف وأقبل الخريف وأخذت أوراق الشجر تتساقط ذابلة، وبدأ النهار يقصر والليل يطول والغيوم تتلبد والأمطار تهطل ، وتكمل الوحدة وينقطع السبيل على المارة وتلزم الأم وزهرة الجبل الكوخ أشهراً شعرت المرأة بانحطاط قواها وامتنعت عن الغذاء وعجزت عن أهون الأعمال وقل كلامها، فكانت زهرة الجبل تزداد بها عناية كلما رأت شدة وطأة المرض عليها وتقضى الليالى ساهرة تبكى تارة وترقب وجه الراقدة طوراً .

ذهب الخريف وأقبل الشتاء فاشتد الضعف واستعصى الداء ، وكانت زهرة الجبل لاتعلم أن فى الدنيا أفراداً انقطعوا لإسعاف المرضى اسمهم أطباء، وإن عرفت فلم تكن تدرى أين مقرهم ولا كيف تكون دعوتهم. وكذلك الأم فانها لم تفاتحها بشىء ولم تشك يوما اليها حالها . ولكن زهرة الجبل كانت تجمع بعض الأزهار والأعشاب وتستخرج خلاصتها وتقدمها للعجوز قائلة إنها رأت « الراعى الصغير » يجمعها ويحفظها . إشتد الضعف واستعصى الداء وصامت الأم عن الكلام والغذاء فكانت تقضى يومها وليلها راقدة لاينهض لها جفن، وإذا نطقت فباسم ولدها أو بطلب جرعة من الماء تطفىء بها لظى نار خفية تشمل أحشاءها . وكانت زهرة الجبل بجانبها لاتفارقها ولا تفتر عنها طرفة عين، تارة تمسك بيدها وطوراً تحمل رأسها فى حجرها

وفى ليلة من ليالى القر العنيف كانت العواصف تزأر والرياح تزمجر كأنها وحوش سجينة — نهضت الأم من فراشها وضمت زهرة الجبل إلى صدرها وسألتها عن ولدها ثم طلبت شربة ماء فأسرعت زهرة الجبل إلى الاناء وعادت به إلى الأم العطشى فاذا هى لاتتكلم، فدنت منها ونبهتها فلم تنتبه، فمسحت جبينها بيدها فاذا هو بارد عليه قطرات من عرق النزع الأخير . ولم تكن زهرة الجبل تعرف ماهو الموت فظنتها نائمة وأرادت ألا تقلقها فبقيت ساهرة بجانبها ولكنها كانت تشعر بما لم تمارسه فيما مضى من الليالى: سكون شامل ووحشة لم تعتدها . كانت الأم تنام ساعة وتستيقظ أخرى . أما هذه الليلة فمنذ نامت لم تستيقظ. لم تر زهرة الجبل قبل هذه

المرة إنساناً يموت ، فلم تعرف الموت. رأت أمها هذى بالأمس راقدة وعلى وجهها علامات الألم مما ألمّ بجسمها من الضعف وبقلبها من الحزن ، والليلة رأت وجهها ساكناً هادئاً كأنه مرآة صافية وعلى شفتيها ابتسامة جميلة ولكنها مخيفة — هى ابتسامة الفراق .

كانت زهرة الجبل منتظرة الصباح بفارغ الصبر لعل الراقدة تنهض بعد هذا الصمت الطويل

قبيل الفجر سكنت العاصفة وجفت ماآقى السماء وأطلقت ديانا سراح وحوش الريح فأفلتت إلى الوادى

* * *

كل شيء فى الطبيعة تبدل وكل ساكن تحرك إلا تلك الأم الراقدة فانها مازالت راقدة لا تنهض . فخرجت زهرة الجبل إلى ظاهر الكوخ لعلها تجد الفتى عائداً من رحلته فيشاركها فى إيقاظ والدته . وإنها لكذلك وإذا بها ترى فتى أشعث أغبر قد تلفع بفرو؛ فلما دنا منها تبينته فاذا هو « الراعى الصغير » الذى أضلته فيما مضى من أيامها فبهتت للقائه وسرت برؤيته وسألته عن حاله فطلب منها خبزاً وحليباً فأدخلته إلى الكوخ وقدمت إليه طعاماً وشراباً ، وكان سرورها به عظيما لأنها تمكنت من رد جميل لمن أحسن إليها وصنع بها معروفاً ، ثم حانت منه التفاتة فرأى المرأة راقدة . وإذ رابته ملامحها اقشعر وعرته رعشة الخوف ، وتبينت زهرة الجبل منه ذلك فسألته ، فلم يخف عنها أنها ميتة . وإذ كانت لاتعرف معنى الموت أخذت تسائله فقال إنها فقدت الحياة والحس فلن تنهض ولن تتكلم ولن تبصر ولن تسمع فسألته: أو لو عاد ولدها من الدنيا الجديدة تبقى صامتة !

أجاب الراعى: لو انتقلت الدنيا الجديدة بأسرها إلى هنا فانها لن تعود إلى حالها لأن الحياة فارقتها فقالت له: هل هذا الفراق أبدى بينى وبينها؟ فأجاب الراعى: لا أعلم. فسكتت الزهرة ، ثم طرحت نفسها على صدر الراقدة واندفعت تبكى وتختلج حتى بللت وجه الراقدة وصدرها ببكائها وجاشت بنفسها عواطف الحب والحنان والألم والذكرى . ثم إن الفتى أنهضها وقال لها: لابد من دفنها. فلم تفهم. ولما ذكر لها حالة الجسم الانسانى وسرعة فساده وواجب الأحياء نحو أحبابهم الذين كانوا بالأمس مثلهم امتثلت وطلبت إليه أن يخط لها مضجعاً فى الكوخ حيث رقدت، فقال لها هذا لا يكون ولابد أن يحفر قبرها فى مكان خال، فأشارت إلى الشجرة التى جلست فى ظلها يوم لقائها بالأم على ضفة النهر وأخذ الفتى فأساً وحفر لحداً فى ظل الشجرة . وكانت زهرة الجبل ماشية بجانب أمها تكلمها وتبكى وليس هناك من يشهد ذلك المنظر الرهيب إلا الطبيعة والراعى الصغير ، أما الطبيعة فجامدة صامتة غشوم عمياء وهى التى أوجدت، وهى التى أعدمت، وهى التى تخلق وتعيد ، وأما الراعى الصغير فقد علمه شقاء الحياة معنى ألم الموت ولذة الحياة

دفنت الأم بعد أن كفنها الراعى بأوراق الشجر وكأنما الخلق الذى سول له أن يترك الطفلة فيامضى دعاه الآن إلى تركها وحيدة بعد الذى رأى ، فقال لها الفتى وهو جامد : أستودعك الله يازهرة الجبل .

وكأن الفتاة لم توجس بعد حالها ، ولم تتبين مغبتها ووحدتها فلم ترد على أن سألته أعائد أنت إلى أمك ؟

فأجاب : لا أم لى ولا والد .

قالت : أين تذهب إذن ؟

أجاب : أطلب رزقا بتعب اليمين وعرق الجبين .

قالت : إبق هنا وارع الأغنام وصد الطير ريثما يعود أخى

فقبل الفتى لا كريما ولا مجيبا سؤلها ، وإنما تبين فى المكان رزقاً فلم يجد بأساً فى البقاء ، وعاشا معاً : هو يقوم بكل ما يقوم به الرجال من أعمال الزرع والرعاية والصيد وتحويل مجرى النهر إذا طغى على الكوخ ، وتقويم جدرانه إذا انقضت من شدة السيل الجارف ، وينحدر إلى القرية يبيع فيها الحليب والصوف ، وزهرة الجبل تعد الطعام وتغسل الثياب وتبكى على قبر أمها وقد فارقتها الوحشة الأولى وذهب تدبير المنزل بما فى نفسها .

وفي أحد أيام الربيع إذ أخذت الطيور فى التغريد وظهر زهر البنفسج في أثناء الغاب وتجدد شباب الطبيعة ونهضت الأرض من رقدتها بعد الشتاء ـ قال الراعى الصغير : ألا تأتين معى بازهرة أريك إحدى المجائب ؟ قالت : أين ؟ قال : عند تلك الشجرة وأشار بيده ، فانطلقا حتى تعبت الفتاة وقالت له : أين الشجرة ؟ قال هناك وأشار بيده ، وكانت تبدو عليه سيما الاضطراب والحيرة ، فسارا حتى كلّ قدماها وقالت له أين تلك الشجرة ؟ فوقف أمامها وقال لها ألا ترين أمامك تلك الشجرة التى تظلك بفرعها بعد أن رويتها بحبك ؟ ألا ترين أمامك الشجرة تحمل قطوفا دانية ، وقد آن لها أن تجنى ؟ ألا ترين تلك الشجرة التى خلقت وخلقت لك ؟

فهتت الفتاة وارتجفت وقالت له : كلا لا أرى .

ففتح الفتى ذراعيه وقال لها : أنا تلك الشجرة . فلم تتكلم ولم تتحرك ، وأخذت تنظر إلى الأفق كأنها تنتظر من الطبيعة أن توحى إليها جواباً . فلما ارتج عليها مالت صوب الكوخ وسار خلفها الراعى الصغير وهو لا يدري ماذا يجول فى صدر زهرة الجبل . أتدرك الحب أم لا تدركه ؟ وهل تريده رجلا لها أم هي لا تفهم ذلك المعنى ؟

ولما بلغا الكوخ رأت زهرة الجبل شخصاً كأنها لم تره من قبل وإلى جانبه شابة مريبة المنظر وقد لبسا ثياباً غريبة ، فمن حذاء يصل إلى ركبته ، إلى قبعة مزدانة بطيور ميتة على رأس المرأة ، وكان الرجل خشناً وحشى الصورة فابتدرها بقوله ولم يسلم : أين صاحبة الكوخ ؟

فأجابت زهرة الجبل : إنها راقدة

قال : ألا توقظينها ؟

قالت : إنها لا تستيقظ من رقادها

قال : وأين هى ؟

قالت : هناك فى ظل تلك الشجرة

فنظر إلي صاحبته ثم نظر إلى الراعى الصغير ، وقد بقى هذا صامتاً متشائماً من هذه الوفدة الغير المنتظرة — ثم تحول الرجل إلى زهرة الجبل وقال لها : ألست أنت تلك الفتاة الوحشية التى اتخذتك ربة الكوخ بنتاً لها منذ ثلاث سنين ؟

قالت : بلى

قال : ومن يكون هذا ؟ وأشار إلى الراعى بطرف سوط كان فى يده . أجابت : هو الراعى

الصغير الذى دفن أمى بعد أن كفنها بأوراق الشجر وهو يقاسمنى متاعب الحياة والقرية

ثم شعرت كأنها تتذكر الصوت والعينين والقامة فقالت له : ألست برنار أخى ؟ ثم أقبلت عليه تريد تقبيله فدفعها عنه بعنف وقال : ألا تخجلين من هذه السيدة ؟ ولكن خبرينى متى كان زواجكما . فلم تجب لأنها لم تدرك سؤاله ولأنها منذ دفعها قال: ألم تذهبى إلى الكنيسة قبل مخالطة هذا الرجل . فظلت على سكوتها لأنها لم تكن تدري من كل ذلك شيئاً . قال : إذن أنتما تعيشان بغير رباط شرعى . لقد عشنا فى الأرض الجديدة وعرفنا أخلاق الأمم ، فأنت وهذا الفتى فى عرف الفضيلة آثمان . كيف جاز لكما أيها الفاسدان أن تدنسا قبر أمنا الطاهر بجرمكما ! . ثم أخذ يتبادل مع رفيقته ذات القبعة المريشة حديثاً بلسان لا تفهمه زهرة الجبل ولا الراعى، ثم استمر فى خطبته وقال : إن هذا الكوخ كوخنا وجئنا نبنى الاقامة فيه ، فسيرا في سبيلكما وكفاكما منا هذا الاحسان ، فاننا نطلق سراحكما ولا نريد أن نودعكما ظلام السجون . ثم خاطب رفيقته ، والتفت إلى المسكينين يترجم ، قال إنها تقول : يا للعار ، أفى هذا المكان الجليل ، وفى تلك البقعة الطاهرة تقترفان إثماً كهذا ! ثم قصد قبر أمه وجثا أمامه ، وكذلك فعلت الأمريكية ، وقال : عفواً يا أماه إذا كان هذان الأثيمان قد أساءا إليك فى غيبتنا ولم يرعيا لك حرمة . أما زهرة الجبل فقد بدت عليها حيرة شديدة ، وكأنها تنبهت إلى ما في هذه الأقوال والأفعال من سوء المقبي والحرمان ، وقدرت ماسيصيبها من الشقاء بالبعد عن هذا المكان. ولما نهض برنار ورفيقته وقد نظرا إليهما نظرة الكره والطرد وفاه بذلك فى وجه تلك المسكينة ، هاجت زهرة الجبل ووقفت في وجهه كأنثي أسد غضبى تقول له : كيف تريد أن ننصرف وأنا التى سهرت بجانب أمى أشهراً وعنيت بها ليلا ونهاراً حتى نامت النوم الأخير ، وأنا التى غرست هذا الزرع ورعيت القطيع ، وهذا الفتى هو الذى حول مجرى النهر وشاد جدار الكوخ الذى أراد أن ينقض بعد أن مانى عليه الماء، وهو الذى حفر لأمى مرقدها فى ظل تلك الشجرة ! ألا تريان أنت وهذه المرأة المبرقشة أننى قضيت ثلاث سنين فى الخدمة والعمل وهذا الراعى الصغير لم يلجأ إلى الراحة إلا خلسة لنكسب قوتنا ! لقد عدتما من أرض الأحلام بالمال فاذهبا وشيدا لكما كوخاً غير هذا واشتريا قطيعاً غير قطيعنا . فقال برنار : إنك لاشك ممتوهة، ولو علمت أنك تنكرين الجميل ما تركت أمى فريسة لحيوانك . ثم حادثه رفيقته قالت : ومن يدرينا كيف ماتت هذه الأم المسكينة وأنت بعيد عنها؟ ولم تدرك زهرة الجبل معنى هذا السؤال وإلا لافترست تلك الأمريكية الفاسدة القلب التى حاولت أن تنسب إليها أفظع الجرائم

أما برنار فقد أخرج من جيبه ساعة ونظر فيها وقال إن لم تنصرفا لساعتكما من كوخنا وأرضنا استنجدنا برجال الشرطة والقضاء ليمثلوا بكما، فقالت زهرة الجبل: نحن لا ننصرف. فسار برنار ورفيقته فى سبيل القرية ودخلت زهرة الكوخ وباشرت

عملها كعادتها . ولكن الراعى كان بادى الحزن والوجل ، ولم ينتقل من مكانه كأنه ينتظر حادثاً فاجعاً . ولم يخب ظنه فانه لم يكد يميل ميزان النهار حتى عاد القادمان ومعهما شرطى من القرية ، فلما دنوا من الكوخ أسرع الراعى إلى زهرة الجبل وأفضى إليها بما يكون من وراء العصيان . والغريب أن نفسه لم تحدثه بفكرة المقاومة التى تلتئم مع حالة الفتاة النفسية . وفى ظني أن القليل الذي عرفه من الحياة المدنية ترك نفسه فريسة الخوف من القانون ورجاله الذين يمثلون العدل الوهمى . ولكن زهرة الجبل لم تعبأ بقوله إلى أن أقبل الشرطي وطلب إليها بلهجة الآمر أن تغادر الكوخ ، وأن تتخلى عنه لمالكه وأنها إن امتنعت أرغمها بالقوة ، فأخذت المسكينة تحتكم إليه برواية تاريخ حياتها ، وما كان من شأنها منذ تبنتها الأم الراقدة تحت ظل الشجرة. وكاد الشرطى يشفق عليها لأنه لم يرحل إلى أمريكا ولم يقف على قواعد المدنية الحديثة . فلما رآه برنار يوشك أن يضعف حيال قصة زهرة الجبل قال له: أيها الشرطي لست قاضياً ، قم بواجبك . فقال الشرطى للفتاة إن رئيس الشرطة لاشك ينصرها إن هى طرحت لديه شكواها واستنصرته فى بلواها . وكانت زهرة الجبل كالفهدة المجروحة فخرجت من الكوخ هائجة لم تحمل شيئاً من متاعها إما شمما وإما اعتقادا منها بأنها بلا ريب عائدة ، فتقدم برنار إلى الكوخ وعاد بخرقها وحليها الموهة ، وبينها ما كان قد أهداه إليها وقذف بكل ذلك فى النهر. وبهذا أضاف الأذى إلى المهانة وزاد الطين بلة . سارت الفتاة والشرطى وخلفهما الراعى وقد شيعتهم الأميريكية بضحكة عالية

فلما بلغا القرية لفتت زهرة الجبل الأنظار بغرابة زيها وما يبدو عليها من علائم البداوة والجفوة وخشونة المظهر والملبس . ولما مثلت بين يدى رئيس الشرطة سألها عن اسميهما ولقبيهما وسنيهما وصناعتهما ومسكنهما وهلم جراً ، فلم يحيرا جوابا . فسأل الشرطي عن حالهما فأبدى له مارأى وسمع، ثم تقدمت اليه زهرة الجبل وهى مملوءة بالأمل فى العدل الانسانى، وروت له كل ما جرى لها، وكان أثناء ذلك ينظر اليها تارة معجباً بجمالها وبساطة نفسها وبطولتها، وطوراً مستخفاً بشأنها وساخراً من دعواها . فلما أن فرغت سألها عن عقود الملكية ! فلم تقدم ولم تؤخر . فنظر اليها ثم أصدر حكمه بأن القانون لا يطيها على (العين حقاً) وانها لم « تضع يدها » بسبب صحيح ! وأن حكمه (نهائى لا يستأنف) ونصح لها ألا تعود إلى الكوخ لئلا يضطر إلى حبسها . والأولى لها ولرفيقها أن يبحثا عن عمل أو يغادرا المقاطعة لئلا يعاملهما معاملة المتشردين وإنه يمهلها أربعاً وعشرين ساعة ! ثم أمر الشرطى بطردها . فخرجا ، وقد غابت الشمس . أما زهرة الجبل فانها ما كادت تخرج من غرفة الضابط وتخطو عتبة باب (دار العدل والقانون) خارجة حتى تركت الراعى الصغير الذي لم تتبين فيه أخاً ولا صديقاً ينفع وسارت على وجهها وحدها حتى خرجت من القرية، وما زالت تقودها قدماها رغم إرادتها حتى بلغت مكاناً يطل على الكوخ ، فلزمته كلما نظرت اليه حنّت

ثم تملكتها عواطف الغيظ والمقت لساكنيه، وكانت أيام الربيع الأولى قد فكت أغلال الجليد من رؤوس الجبال ودفعت بالمياه المكرة والأحجار المتناثرة فى مجرى النهر إيذانا ببداية الفيضان فعاشت زهرة الجبل أياما فى الغابة كحياتها الأولى، وكانت تقتات من ثمر التفاح والقطن البرى على مافيها من غضاضة ومرارة، وتروى ظمأها من ماء ذلك النهر الذى صحت عزيمتها على أن يكون فيه إطفاء لنار عاطفة الانتقام التى ولدتها نظرات الشقاء والكره الذى ذاقته فيما رأت. ولما مضت عليها أيام أصبحت كبعض الوحوش التى تسكن الأدغال، وتغير مظهرها كأنها لا يهدأ بالها إلا أن تنتقم من عدوها. وكانت إذا تنفس الفجر وتضرجت وجنة الأفق بأرجوان الصباح وخشيت أن تصادف برنارا ورفيقته أوغلت فى الغابة وأمعنت وكأن خشخشة أردية الروح ومطارفه، ووسوسة أوشحة النبات وملاحفه، وانحدار المياه وهديرها، وهبوب الرياح وصريرها، أصوات تبعث فى نفس زهرة الجبل حب الانتقام. ولم يكن خفقان النسيم وهتاف الطير بصوته الرخيم، ولا تغريد البلبل بالترنيم والتنغيم، لتعوق البنت الموتورة عن الانتقام. حتى إذا جن الليل وأقبل الظلام سكنت الفتاة إلى مكان منفرد فى غيابة الغابة أو اختفت فى أغوار الأجمة، فلما أن توسط الربيع وأقبل الفيضان نهضت زهرة الجبل خفية فى السحر والطبيعة نائمة، ودنت من ضفة النهر من مكان يشرف على الكوخ وأخذت تحفر ببعض الأغصان مجرى صغيراً يشبه الغدير لتحويل ماء النهر. وما زالت تعمل فى الحفر والماء يندفع بقوة انحدار السيل حتى اتسعت الثغرة ثم أخذت تنقل حجارة كبيرة إلى وسط النهر لتكون سداً فكانت. وكاد يندفع النهر بمائه إلى حيث حفرت له زهرة الجبل، وزاده انهماراً وجود الكوخ فى وهدة منخفضة. ولما أن رأت فيضان النهر فاض السرور فى جوانحها وشاع الطرب فى فؤادها وهنأت نفسها على أنها فازت ببغيتها، وقضت على عدوها وعدوتها. وإنها لكذلك وإذا الماء كالطوفان يطمر الكوخ ويغمره ويزعزع أركانه، ويفرق جذوع الأشجار ويهلك سكانه، وأخذت جدرانه التى أقامها الراعى الصغير تتداعى ثم تنقض، وعلت الأصوات بالاستغاثة ولم يلبث الكوخ أن تهدم على من فيه، وجرفته الأمواه بعد أن أغرقتهما؛ والفتاة تنظر إلى الخراب الذى صنعته يداها وهي تعتقد أنها أقامت ميزان العدل وأنها اقتصت لنفسها ممن أذلها وطردها. وكان الصبح قد تنفس ونثر النور فى الشرق ياقوتاً من أشعة الشمس، فرأت زهرة الجبل قبر أمها وقد نبشه الطوفان فبدت جيفتها على سطح الماء وقد عراها الفساد وسرت أمامها مسرعة كأنها سفينة تمخر عباب بحر الأبدية؛ فلم تطق الفتاة رؤيتها وظنت أنها أساءت إليها بانتهاك حرمتها فألقت بنفسها وراءها واستشهدت فى سبيل الذنب الذى تخيلت أنها جنته على من أحسن إليها. وهكذا ابتلع النهر أربع جثث عاشوا جميعاً على ضفتيه، وماتوا بين حافتيه، وهذا باسم القانون والعدل

فلما فرغ الدليل من حديثه كانت الشمس قد آذنت بالمغيب فعدنا إلى القرية

محمد لطفى جمعة

اللص الثرثار

عن الانكليزية

بقلم الاستاذ عبد اللطيف النشار

لما أضيئت الغرفة فجأة شعر اللص بالخطر، وكان هذا اللص يلقب بين أصحابه بلقب الدوق لجرأته على اقتحام المنازل ولحسن طلعته وهيئته. وقد قضى أكثر من عشرة أعوام فى مخاطراته دون أن يعتقل مرة واحدة. لكن الخوف يعترى أجرأ اللصوص عند وقوع الخطر

وكان البيت مكوناً من طابقين: أما الأول فهو إدارة جريدة. وأما الثانى فهو مسكن رجل من الأغنياء كان مسافراً وكان البيت خالياً من السكان فجاء هذا الدوق ليسرقه على هذا الاعتقاد

لكنه لما دخل من النافذة وجد الغرفة مظلمة ورأى فى وسطها منضدة وشم رائحة فأدرك أن فى المنزل سكاناً لأن الرائحة هى رائحة ويسكى. وكانت الزجاجة موجودة على المنضدة وبجانبها كأس وزجاجة من الصودا. ولما كانت النافذة لا تزال مفتوحة فقد تردد الدوق وهم بالعودة. ولكن فى هذه اللحظة أضيئت الغرفة ووقف عند الباب رجل فى يده مسدس وهو يقول: «من هذا؟»

فأجابه اللص: «حسن، استدع البوليس»

قال صاحب المنزل: «سأفعل» وفى نفس اللحظة دخلت سيدة فاختفت وراء صاحب المنزل وسألت: «ما هذا؟»

فقال صاحب المنزل: «إذهبى فارتدى المعطف وعودى إذا شئت فانظرى لصاً من أشهر اللصوص» وقال: «ألست الوغد الذى يدعونه بالدوق؟»

فابتسم اللص وقال: «نعم أنا الدوق ولكننى لست وغداً»

وكان الدوق فى الخامسة والثلاثين مهيب الطلعة يحمل وقاره رجال البوليس على رفع أيديهم بالسلام عند ما يرونه. وكانت ثيابه ثمينة وصوته ينم على السيطرة والنفوذ، وقال له صاحب المنزل: «ابق أنت» ثم مشى نحو آلة التلفون فجلس اللص أمام المنضدة ووضع رجلاً على رجل كأنه جالس فى منزله أو كأنه ضيف كريم

وطلب صاحب المنزل قسم بوليس «لايم ستريت» فقال اللص: «بل اطلب قسم بوليس (واردور) فهو أقرب مكاناً ونحن تابعون له»

قال صاحب المنزل: «كما تريد» وطلب القسم الذى أشار به الدوق، ثم قال فى سماعة التلفون. «من؟ مفتش البوليس؟ أرسل بعض جنودك الآن. أنا السير براندون برتون — شارع كوربرى رقم ١٦٢ — عندى لص. الأمر لا يدعو إلى عجلة شديدة فإنى أستطيع الانتظار حتى يحضر الجنود»

ثم ألقى السير برتون بالسماعة والتفت إلى اللص الجالس أمام المنضدة وقال: «مرحباً بك!» فقال الدوق: «إننى أعلم منك بأقسام البوليس وأنا فضلا عن ذلك أحب قسم واردور فان سجنه من السجون الجديدة النظيفة» فقال السير: «إننى لم أر لصاً أبرد منك. ما مقدار العقوبة التى تظن أنه سيحكم عليك بها؟» ففكر الدوق لحظة ثم قال: «خمسة أعوام لأنهم سيسجنوننى مدة سابقة بسبب حكم

لم ينفذ . وقد كنت فى الواقع لا أريد دخول هذا المنزل بل المنزل المجاور وهو نادى السباق »

مضت بعد هـذا فترة فى صمت ثم قال السير وهو يشير إلى زجاجة الويسكى : « اشرب كأساً إذا شئت »

فشرب وشكره ومضت فترة صمت أخرى . ثم قال السير برتون : « ولكن لماذا كنت تريد أن تدخل فى نادى السباق ؟ »

فقال الدوق بلهجة تنم على الوثوق التـام : « لقد كنت أعلم من قبل باسم الجواد الذى سيربح فى السباق المقبل » فابتسم السـير وقال : « أنا كذلك أعلم »

فهز الدوق رأسه وقال : « أنت مخطئ فقد تغير العزم على منح الجائزة لجوادك : «وايت لادى» الذى كنت تعتقد حتى هـذه اللحظة أنه صاحب الجائزة »

فامتقع وجه السير لما رآه يصرح باسم الجواد وصاحبه . وقد كانت الحقيقة أن التدبير جرى من قبل فى النادى على أن ينال هذا الجواد الجائزة »

ثم قال اللص : « وكنت قد اشتريت أوراقاً للمراهنة على جوادك ، ولكنني بعتها واشتريت بمائة وخمسين جنيهاً أوراقاً أخرى على الجواد الآخر لكى أربح خمسة آلاف جنيه وحدث أصدقائى من اللصوص على مثل ذلك »

وكانت لهجة الثقة التى يتكلم بها اللص داعية للسير برتون على تكرار الابتسام وقال : « لكنه من المحتمل أن تخسر » فقال الدوق : « إن هـذا مستحيل — لكن البوليس تأخر كثيراً »

وكان إبداؤه هـذه اللاحظة بمناسبة هي أن الساعة دقت الثانية بعد منتصف الليل . وقد نظر إليها اللص وأبدى تعجبه من ارتفاع صوتها حينما تدق دقة مزعجة مع أنها من أغلى طراز . فلم يجبه السير على هـذه اللاحظة ولكن سأله : « ما اسم الجواد الآخر ؟ »

قال الدوق : « ليس من حقى أن أخبرك لأن مصدر علمى يتعلق بحادثة غرامية بين رجل أعزب وبين امرأة متزوجة . ولو أخبرتك باسم الجواد فقد تعرف هذه المرأة . وأرى مما يتنافى مع شرف الكبار من اللصوص أن يفعلوا ذلك . لقد كنت أسرق منزلا لأحد الأغنياء فوجدته مستيقظاً ومعه امرأة فاضطررت إلى الاختباء وسمعت الحديث الذى دار بينهما وهو عن التدبير الذى تم لتغيير الجواد الرابح . وقد كان هـذا التدبير لمصلحة الرجل وبواسطة تلك المرأة

وهنا دخلت اللادى برتون وقد دهشت عندما وجدت زوجها واللص يتحادثان كأنهما صديقان ووجدت اللص جالساً مطمئناً . وزادت دهشتها عندما وقف اللص ووقف زوجها للترحاب بها عند الدخول . وقالت لزوجها : « ما الذى فعلت ؟ ألم تستدع البوليس ؟ »

فتناول اللص كرسياً وأشار إليها بالجلوس فجلست وهى فى نهاية الدهشة مما تراه .

وقال السير : « اسمعى ما يقوله الدوق . لقد أخبرنى بأن العزم تغير فى نادى السباق ولن ينال

الجائزة جوادنا « وايت لادى »

فنظرت اللادى فى حيرة إلى اللص وقالت : « ما هو الجواد الأخير ؟ »

فقال : « لا تسأليني فان القصة تمس شرف إحدى السيدات . وقد كنت منذ أسبوع أسرق بيت رجل غنى فجلست فى غرفة الاستقبال . وكان فى غرفة النوم سيدة متزوجة تتآمر مع الرجل على موضوع السباق »

ولاحظ الدوق ارتباك السيدة مما بداق نظراتها وصوتها . ولكن السير كان بطىء اللاحظة فلم يدرك شيئا من ذلك .

وقالت اللادى : « وهل رأيت السيدة ؟ »

فقال : « لقد لمحتها » فقال السير برتون : « هل هى زوجته ؟ »

قال : « كلا وقد قلت الآن إنها متزوجة »

قالت اللادى : « ولماذا لم تظهر نفسك ؟ » فلاحظ السير على زوجته هذه الملاحظة : « كيف يستطيع إظهار نفسه ويتعرض للاعتقال ؟ »

فقالت : « إنه ما كان من الممكن أن يعتقل ما دامت المرأة التى معه متزوجة »

قال الدوق بأباء وترفع : « إننى لا أستغل الأسرار ولا أتجر بسوء السمعة »

* * *

استمر اللص فى سرد ما سمعه عن تغيير الجواد الرابح فاستثار اهتمام السير لأنه وثق من صدق ما يسمع لما فيه من التفاصيل عن شئون النادي

وفى أثناء الكلام دق الجرس فاستأذن السير من اللص وذهب إلى الباب . وفى أثناء غيبته التفتت اللادى إلى اللص وقالت : « أرجو أن تسامحنى الآن، أليس المنزل الذى سمعت فيه هذا الحديث هو منزل اللورد آرثر جريفزلى ؟ »

قال : « نعم ولكن ما يدريك ذلك ؟ »

فقالت اللادى : « دع هذا التجاهل فانى أنا السيدة التى كانت هناك . ألم تكن تلك الليلة ليلة الأربعاء ؟ »

قال اللص : « أأنت مجنونة حتى تعترفى أمام مثلى بمثل هذا الاعتراف ؟ لكن سرك على كل حال مصون فى قلب يكتم الأسرار وقد كانت الليلة ليلة السبت وكانت المرأة امرأة غيرك »

وقد كان اللص يحسب هذا القول مطمئناً لها ولكنه أخطأ فان هذا القول لم يزدها إلا انزعاجا . وألحت عليه أن يخبرها باسم المرأة الأخرى .

وقالت إنها لا تهتم لنفسها ولا تعبأ بالسر ولكنها تهتم لأن اللورد يدعو إلى منزله امرأة غيرها . وأخذت تلعن وتسب وتقسم انه لن يكون بينها وبين اللورد علاقة »

وفى أثناء الحديث عاد السير برتون وقال إن الذى كان يدق الجرس هو رجل البوليس وإنه ضربه بالكذوبة اخترعها وإنه يرجو من الدوق أن يخبره باسم الجواد الآخر

قال الدوق : « لا تتعب نفسك فانى لا أسمح بذكر حادث يؤدى إلى معرفة المرأة » فقال السير « عجيب والله أن يأتى لص فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ليلقى علينا درساً فى الأخلاق . قل وسأعطيك ما تريده من المال » فأبدى اللص علائم الاشمئزاز

وقالت السيدة لزوجها : ليس مما يتفق مع مكانتك أن تساوم مثل هذا الرجل على ما أفهمك أنه سر .

ولكنها رأت إصرار زوجها وتشبث الدوق وضاق صدرها بسرها وشعرت بأنها أحرجت فقالت: « ان الرجل الغنى الذى يتحدث عنه هو اللورد آرثر جربفزل والجواد الرائع جواده »

وقف الدوق مغضباً وقال : « هذا سر خنته »

ولكن اللادى خرجت باكية متعثرة وقد عرتها رعشة المضطرب فتبعها زوجها . ووقف اللص وحده وهو نادم على إفشاء السر أكثر من ندمه على أنه سارق

وبعد ساعة عاد السير برتون وهو أصفر الوجه خائر القوى وقال : « إن اللادى اعترفت لى بالحقيقة كلها وهى ترجو مكافأة على إطلاق حريتك الليلة أن تسرق لها الخطابات التى كتبتها إلى اللورد آرثر »

فوعده الدوق بذلك

وفى الليلة التالية كان اللورد آرثر فى حجرة مدير البوليس السرى ليساعده على استكشاف جريمة

قال المدير : « ماهو الشيء المسروق ؟ » فقال: « رزمة من الخطابات يظهر أن اللص حسبها أوراقا مالية »

فقال مدير البوليس : « وما فائدة البحث عنها ؟ إن اللص سيمزقها كما كنت تفعل لو أعيدت إليك »

لكن مدير البوليس كان مخطئا فان اللص أخذها ليردها إلى اللادى برتون وقد نال فى مقابل ذلك جائزة هاجر بها من انجلترا إلى أمريكا وترك مهنته الدنيئة

عبد اللطيف النشار

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

أبى العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

رفائيـــــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

جنية البحر

للكاتب الفرنسي "جول لميتر"

بقلم السيد محمد العزاوي

احتبست الريح عنها إذ هي تحاذي الشاطئ من جزيرة « جن البحر » فلم يعد أحد يسمع للرياح عواء ولا عويلاً، أو يسمع للموج هديراً ولا هزيماً، أو يدرك في اليم عوجاً ولا أمتاً ؛ فهو الآن هادئ ساذر ، تتفجر الرهبة من جوانبه ، وتنبع الوحشة من نواحيه . وإذ رأى الركب ما رأى من عنت البحر وبأسه طوى الشراع للسارية ثم استكانوا

لقد كان أودسيوس وصحبه . فقد أحنقوا نبتيون الجبار ، فأرسل عليهم الرياح عذاباً فهي عاصفة قاصفة ، لا تبقي ولا تذر . وألب عليهم البحر عقاباً فهو تموس لا يستقيد ولا يلين . . لكم كان البحر لهم بلاء ، وأي بلاء ! وقد استعذبوها في سبيل راتيا كا !

واستمع أودسيوس لما نصحت به « سيرس » العاشقة ، فمجن الشمع ، وصبه في صماخيه حجاباً كثيفاً ، وفي آذان صحبه فهم صم لا يسمعون . وشده الرجال — كما أمر — إلى السارية بحبال غلاظ شداد ، ثم طفقوا يزيحون عن السفينة زبد البحر الغاضب

وكانت جنيات البحر يشهدن تقدم السفينة — من كهفهن — بصبر وشغف . حتى إذا مادخلت السفينة مجال السمع بدأن الغناء :

« أيها الناس هلموا ! فما مر بنا رجل إلا سحر الغناء لبه ، وألهب حسه، فانتقل إلى عالم الخلد مسروراً ، عالماً بما لم يكن يعلم في الحياة الأولى ... »

« نحن نعلم ما على الأرض جميعاً ، إن هي إلا أمنا ... ... »

ثم استوين جالسات على وصيد الكهف يلوحن بأيديهن فرحاً وطرباً ، مستبشرات بالقادمين النازلين ... أهلا وسهلا !

وكانت أصواتهن رقيقة ناعمة . يلفها ريح البحر المخم فيزيد من غموضها وجلالها ... يخالطها البحر بسحره وسلطانه فيجذب نحوها السامع كما تجذب النار الفراش ...

واصطرع أودسيوس على السارية بوثاقه . وطفق يجذبه وينحيه عنه في بأس وقوة ، ثم يدعو رجاله أن يفكوا وثاقه . ولكن الرجال أحكموا الوثاق ثانية ، وشدوه من جديد . وظن «أوفريون» — أحد أعوانه — أن ذلك الغناء الذي هز رب الحكمة والجد فصارع الأغلال من أجله — لابد أن يكون جميلا ساحراً وليس بكثير أن يموت المرء من أجله فانتزع الشمع عن صماخيه فسمع الغناء فاذا هو في لجة البحر وقاموس الثبج ، يصارع اليم المتدافع ويجالد الموج الهادر ... سابحاً إلى « السرينات الصادحات » . وحزن السفر لما رأوا ، وعز عليهم أن يتركوا أخاهم لليم صيداً أو للجنيات غنماً ؛ ولكن أودسيوس — من فوق — دعاهم بنظرة راجية أن واصلوا السير علنا نبرح المكان فننجو من بلاء عظيم

* * *

وسبح أوفريون بما أوتى من قوة العضل ، فقد كانت الرغبة الملحة تهتك صدره ، وتدفعه شهوة السماع فيسابق الريح إلى الصوت سبقاً

وكانت المياه اللامعة تدلف فى وهج الشمس ، آمنة إلى كهف بالشاطئ القريب ؛ والجنيات السبع قد اجتمعن على وصيده صادحات فرحات

وليس بخاف أن الجنيات غريبات التكوين ؛ فهن إلى ما يلى الخصور أبكار كواعب ، نحيلات الخصور ، مربعات الصدور . وهن طويلات النحور حور العيون ؛ يعلو الجبين منهن شعر غزير أصفر كأنه سبائك الذهب ... وكانت أسنانهن مشدودة منضدة فى أفواه واسعة ركبت فى وجوه بريئة ضاحكة كوجوه الأطفال . أما ما بعد الخصور فتكسوه حراشيف ناتئة تملوها فلوس لامعة . ويمكن للدانى منهن أن يرى أذيالهن — ذات الألوان الرائعة — تبصبص فى الماء تيهاً وعجباً

ولما اقترب منهن سكن الجوفلا غناء ولا صدى ، ثم توائبن عليه توائب الذئاب على حمل وديع . وصحن صيحات العقبان المنقضة ؛ وجذبنه إلى داخل الكهف المعتم ، فنضون عنه الثياب ، ثم طرحنه على تل من عظام وجماجم ؛ إذ كان من دأب هؤلاء الجنيات أن يلتقطن من حطمت سفائنهم على شعاف الصخور البارزة فى قاموس البحر ليمتصصن دماءهم بشفاههن اللمس المكتنزة

والآن تراءى لأوفريون أن إحداهن أقوى سحراً من أخواتها الأخر وأشد فتنة : فعيناها تشعان ما لا تشع عيون أخواتها من حنان وعطف فولاها وجهه ثم قال :

— إنى لأموت سعيداً بعد أن سمعت ما أطربنى من غناء عرائس البحر الحسان . ولكن لن يتم لى سعد أو تطيب لى نفس إلا أن أموت على يديك أنت من دون أخواتك جمعاء !

فجحظت عينا الغانية من دهشة واستغراب ، منكرة عليه ثبات جنانه وهدوء نفسه ، إذ لم تعتد أن ترى وجهاً من وجوه ضحاياها الكثر يعبر عن الرغبة ويعرب عن العزم مثلما عبر هذا وأعرب . لقد كانت عيون ضحاياها لا تشف إلا عن فزع ورعب مميت . إلا حين ينهكها التعب فهى شاخصة لا تطرف ، أو يعميها الهول فهى جاحظة لا تبصر . فما لعيني هذا الرجل يلمع فيهما بريق العزم وضوء التفكير ؟

فاستدارت الجنية لأخواتها وقالت آمرة :

— تخلفن فان الغريب غنيمتى !

وأطاعتها الجنيات الأخر . فربما كان لها عليهن نفوذ وسطوة ، أو فى قلوبهن حب وحظوة . أو ربما كان ذاك جرياً على عرف تواضعن فى عليه قسمة الضحايا . فانفردت بالاغريق تسائله عن اسمه وخبره فلما قص عليها منه ذكراً قالت :

— فديتك يا أوفريون ! لقد علقتك ! وما أظنها إلا المرة الأولى إذ أصرح فيها بالحب وأستشعر الهوى !

فسألها الاغريق :

— وأنت ما اسمك يا عروس ؟

— ليكوسيا !

* * *

أما الجنيات الأخر فقد تركن المتحابين يعيشان فى سلام ودعة . ولعل ذلك كان جرياً على العرف الذى تواضعن عليه ، والذى لا نعلم من أمره شيئاً . وكان بداخل الكهف مرج خصيب نهيتو سطيع

من ماءٍ معين ؛ كان أوفريون يروى منه غلة الظمأ بعد أن يغتذى بلحم السمك السمين .

ولم تفارقه ليكوسيا بعد ذلك أبداً : فهما يسبحان حتى تكل سواعدهما وتهن قواهما . وهما الآن يسفح الموج وبعد حين على الأعراف ؛ وهما بجنب الشط طوراً وفى القاموس أطواراً . تضمه إلى صدرها بينا هما فى الوشل ، وتنفذ إلى صدره — بعد أن ترق شعاف الصخر الناتئة — فكأنها سهم مراش . حقا لقد كانا سعيدين تحت ضوء الشمس المشرقة . وكثيراً ماداعبا الحيتان فى عودتهما إلى الكهف الوقور .

وإذا جن الليل نامت الجنيات على الشاطىء تاركات أذيالهن فى الماء . أما أوفريون فكان ينام بالمرج فى أحضان ربة البحر ليكوسيا . ولم تكن أحضانها بذات دفء فيلتمس فيها ملاذاً من البرد ومأوى .

وكانا قليلا مايتحادثان . إذ لم تكن تلم ليكوسيا من الكلام إلا بما سمحت به إقامتها بشاطىء البحر الأبيض المتوسط . فهى تستطيع أن تسمى «السماء» و «البحر» و «الشمس» و «القمر» و «النجوم» كلا باسمه ؛ وأن تسمى الصخور قاطبة والسمك كافة . وهى تستطيع أن تقول إنى « أرى » و « أسمع » و « أعشق » ، وإنى « أريد » و « آمل » و « أفعل » . وكان هذا كل مالها من لغة .

وسألها أفريون يوماً « كيف تتغنين — حين سمعت غناء كن من الفلك المسرع — بعلم مالا يعلم البشر . فهل لك أن ترينيه يا ليكوسيا ؟ »

ولكنها أفهمته بأن ما ذهبن إليه فى أغانيهن باطل ، لايقصدن به إلا الكيد وإثارة التطلع فى النفوس .. وصحيح ماقالت ، فان الكلمات التى تغنين بها والتى يسمعها أوفريون صباح مساء — لم تكن تدل على شىء محدود ، بل كانت تثير فى النفس مايثيره جمال الشروق وجلال الغروب ؛ وكانت تستمد قوة السحر من حنان أصواتهن الذى يأسر القلب البشرى ويعطله من الحكمة والعزم وقد وضح ذلك لأفريون وضوحاً ..

ولم تكن ليكوسيا غافلة عن أحزان حبيبها العزيز ، فكانت تنعشه بقبلات حارة ، وكانت تلقفه إذ هو يغوص فى البحر إعياءً لأنها كانت أوفى منه قواماً وأبين عضلا . وقد تهيه ظهرها صهوة يمتطيها إذا كده النصب . ولكنها كانت تغبطه — إذا ما كانا فى المرج الخصيب — على جوارحه الماهرة التى لم يكن لها منها إلا ساعدان مجفاوان لايغنيانها كثيراً إذ هى تسايره ، وذيل يموّقها إذ هي تشائيه ، واستشعرت قصور عقلها وذكاء عقله ، وأحست فوق ذلك — بنقصها رغم الخلود ، وكماله رغم الفناء . لقد كانت تعلم أن عقله يعى مالا يعى عقلها من عوالم غريبة لاتعرف عنها قليلاً أو كثيراً ، فكانت تغبطه وتحسده لكل ذلك ثم ودت لو كانت بشراً سوياً .

وأخذ أوفريون على عاتقه أن يعلمها مالم تحط به ، ويهيها عما تجهل أفكاراً وصوراً . ولكنه تبين الفشل سريعاً . فقد كانت لاتستطيع أن تتصور مايقول أو تفقه له معنى . وكيف تفهم وهى تسمع ألفاظاً للمرة الأولى ؛ ثم كيف تفهم وهي لم تتخذ غير البحر مقاماً ومستقراً

وبدت له الحياة ثقيلة نوعاً : فقد زال عن ليكوسيا روعة الجديد وبهجته ، وتولى عنها سحر الغامض وجلاله . ثم ... ثم هي جنية لا تفنى

الانسى شيئاً ؛ فلا هو من أصلها ولا هى من طينته ولا هى واجدة فيه ما ترتجى ، ولا هو واجد لديها ما يشتهى ... وران على قلبه الحزن. ألن يأتى عليها دهر تدري فيه فتريحه ، أو تنقلب إنساً فتسعده وتعينه ؛ أو يأتى عليه حين ينقلب فيه إلى جنى فينسى آله وصحبه ، ويستريح من الجوى والحنين ؟

ولج به الحنين إلى الوطن فتبره تتبيراً ... ففى الليل بينا يهجع فى أحضان ربة البحر تسبح أفكاره وراء البحر إلى عالم البشر . فيبصر بعين الخيال الواهم أنهاراً وغاباً ، وجنات وحقولا . ويبصر مدناً وخلقاً كثيراً .. ويرى الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، والراسيات على الشواطىء كالأطواد .. وينعطف بصره بغتة إلى المواخير غصت بالمعربدين السكارى ... هم الآن فى شغل فكهون : أمامهم خمر عتيق لذة للشاربين ، تتهادى بينهم الغانيات النشاوى منثنيات ضاحكات مداعبات باسمات ؛ ينضدن على شعورهن اللامعة زهراً ناضراً وجيلا.. هن — دون شك — دقيقات الخصور ، ناضجات الأنوثة مثمرات الصدور ... مرهفات القوام ... رقيقات السواعد والأقدام ... و ... إلى آخر ما يصوره خيال المحروم

وحدث أن مرّ بالمكان فلك منكود جذبه سحر الصوت وترجيع الصدى فاستوى الفلك على صخور قريبة . وهرعت إليه الجنيات هادرات صاخبات . وانقضضن على ركبه — وقد أنشبن فيهم أنيابهن القاطعة — يمتصصن دماءهم الزكية . وتخلفت ليكوسيا عن أخواتها فلم تشاركهن الغناء أو الفداء . وما كان ذلك ميلا عن الطبيعة أو عزوفاً عن الطعام ، ولكن مجاملة لأوفريون الحبيب . ولما علم أفريون بذلك حزن واستخذى . وأيقن أن الحب الذى مسّ قلبها عاجز أن يهبه الحنان خاصة تميزه . وأيقن — كذلك — أن العطف والحنان قد اختص بهما القلب البشرى دون العالمين

* * *

ليس بخاف أن جنيات البحر ينشقن الهواء فى البر والبحر على السواء . وقد سرت تلك الميزة إلى أفريون بعد أن هذبتها قوانين البشرية ، فهو يستطيع الصوم عن الهواء تحت الماء أكثر مما يستطيع غواص مجيد . وكان أحب اللهو إليه أن يغوص بقاع البحر بين مروج المرجان والعشب الجميل ، وأن يهيم بينها متعجباً لها ، فى حيرة من أمرها : أهى أزهار أم أحجار أم حيوان يشعر ويرى !

وقد عثر يوماً بقاع البحر على فلك محطم ووجد بين ألواحه ودسره صحافاً من ذهب وأوانى من خزف بديع . ووجد أكواباً وأباريق ، وقدراً من ذهب فى صندوق متين . وعثر على جواهر وقلائد ونطقاً من حرير ومرايا وأساور من فضة ثم عدة لوحات تحاكى الطبيعة الساحرة

واستعان على إخراجها ليكوسيا ، فكانت خير معين . وقد حلّى جيدها العاطل بقلادة وطفاء الذوائب والأهداب ؛ وذراعيها بأساور من فضة ، وطوق خصرها الدقيق بنطاق من حرير ، ثم ثبت فى يدها مرآة صافية

وملأ قلب ليكوسيا الفرح إذ ترى صورتها الجميلة فى مرآة صافية . وطفق أوفريون يفسر لها ما استعصى عليها فهمه ، وشرح لها ما تمثله اللوحات من مناظر الطبيعة . فبدأت ليكوسيا تفهم العالم الذى حاول أوفريون أن يهبها عنه فكرة ضحلة . لقد

ألفته عالماً غريباً جذابا . فقالت برنة الأسى ولهجة الحزن : « وددت لو فهمت ما فى الأرض جميعاً . ولكن لن تنفى الوادة ، فما أنا إلا ربة بحر قدر عليها نبتيون ألا تبرحه . » .

ودار بخلد أوفرون أن يستغل تلك الحسرة . فزين لها الرحيل إلى الأرض ، وحرضها على هجر اليم الصاخب إلى البر الوادع ... فهو يغريها بالوعود الخلابة والأمانى الباسمة ؛ وهو يحدثها عن أشجار وأطيار ، ورياض وبساتين — أنشأها له خياله الخالق . وهو أخيراً يقص عليها من أخبار الناس كل طريف ... وما ذلك إلا ليهرب من جزيرة « جن البحر » وينقلب إلى أهله مسروراً :

— لو تستطيعين السير معى ياليكوسيا لركبنا الموج إلى بلد يدعى « أثينا » لا يبعد عنا إلا سبح ثلاث ليلال .

— ولكنى لا أستطيع أن أعيش على البر ، أو أمضى زمناً .

— سوف أعينك على أمرك : فاذا كنا بالبلد الأمين سآتيك بعربة كاحدى ما أريتك فى اللوحات فتقلنا إلى حيث تهوين الذهاب . وسوف نحيا فى نعيم بما نحمل من ذهب وفير وخير كثير ...

ولم يبح لها بما يكن فؤاده من شتى الأمور ..

ولم يكن سبح ثلاث ليال بمعجز ربة البحر ، ولكنه كان على إفرون بلاء عظيماً . وعلى أية حال فقد وصلا الأرض ؛ وهبطا شاطئاً غير ذى أهل ولا زرع . ولم تكن المدينة تبعد عنه طويلاً ، إذ كانت تتراءى على أبواب الأفق ، ولكن الطريق إليها كان وعراً متعباً . وطفق أفرون يخصف على نفسه من ورق الشجر ما كساه كساء مقبولاً .

وسايرته الجنية بيديها فرحة مرحة . ولكن السير مالبث أن آلمها ، وآذاها والحر مالبث أن خنق أنفاسها الملاحقة المهجورة .. وسبقها أفرون فى السير فنادته :

— أفرون ! إن الأرض صعب سيرها شديد حرها . وقد حملتك فاحملنى بدورك .

وما كان له أن يتخلى عنها فلا حبها يسمح ، ولا المروءة ترضى . فعاد وحملها فطوقته بزراعيها ، بينا ذيلها يثير خلفهما عثيراً وتراباً .

وتسابل العرق على وجهه الكدود ، وناء تحت حمله ، فوهت أعصابه وتمردت نفسه على ذلك المخلوق الذى يحمل ... وعجب لنفسه إذ يصطحبها ! فبالله ماذا يفعل بتلك السمكة الخنثى بين الناس ... ؟ ولم يكن منه إلا أن طرحها بعيداً عنه ، وعدا نحو المدينة مسرعاً . فأعولت ليكوسيا :

— أفرون ! أفرون الحبيب !

لقد كان التوسل يائساً حزيناً ، تحرك له قلب أفرون فعاد وهو يقول :

— ألا فاصبرى يا ليكوسيا ! فانى عائد بعد حين بعربة تقلنا للمدينة

— لا ! لا ! إنى موقنة بأنك لن تعود ... إنك لم تعد تحبنى لأنى لا أحاكى الانس فى شىء . وما ذاك ذنبى ! ألا فاذكر نعمتى عليك يا أفرون إذ أنت إلى اليوم حىّ ... أتريد بعد ذلك فنائى وموتى ! ؟ يالك من جحود ... ! آه لو تعلم عظيم التضحية ... إن الآلهة قد نضت عنى ثوب الخلد لأنى علقتك !

وضمت إليها يديها إذ تفيض الدموع من عينيها للمرة الأولى !

— أفرون ! عطفاً على !

— عطفاً ؟ ! عطفاً ؟ ! ما نطقت بتلك الكلمة من قبل !

— ذلك لأنى لم «أقاس» حبًّا أو شقاء . إصغ إلى ! إنى موقنة بأنى حملٌ بؤودك ، إلا إذا استويت إنسانة تؤنسك وتؤسى جراحك . وما أجد عن

حالى هـذه حولا ... على أن ما رأيت من عالك أفزعنى وأرعبنى فلا يحزنك أمرى ... ولا تبتئس إذ أعود لليم مرة أخرى ، فأسير سيرتى الأولى مع أخواتى الفاسيات

— الفاسيات !! أنى لك تلك اللفظة الأخرى؟!

— واحسرتا ؟ لقد علمتنى أنت معناها !

ولم يعقب الرجل على ما قالت كلاماً . بل حملها بين ذراعيه وعاد إلى الشاطئ شديدى أسى كاسفى بال . وابتسمت له ليكوسيا من بين الدموع الواكفة فقادها الرجل إلى الشاطئ بلوعة الودع وجوى العاشق المشفق

— وداعاً يا صاحبى !

— آه ! لو وهبك الاله من لدنه أقداماً !

— حسن يا صاحبى ! فليس لى أقدام ، ولا أود أن يكون . فمالى بها من حاجة فى هذا البحر اللجى . سوف أنسى كل شىء أو أحاول .. وسوف أسير سيرتى الأولى . وإن قدر لى أن أذكرك بين الماء والسماء فيا لسعدى وهنائى ! ولكنى سأشفق على نفسى خشية أن يحطمها الهوى ... وسأشفق عليها مرة أخرى ... فما أشد خوفى أن أطرح بعد أن يسخط علىّ نبتيون الأعلى

وبكى أفريون بكاء مراً . وصاح بها :

— كونى كما شاء نبتيون الطاغية ! ولكن تعالى ! تعالى نكن كما شئنا وشاء لنا الهوى !

وما كان أفريون إلا أحمق وعجولا . وما منعه أن يأتى حماقته إلا « زبتيس » الوادعة ! وقالت لهما إذ تستوى فى جلال الآلهة :

— لقد سرنى أمركما وأطربنى ، وإنى لمعجبة بكما سوياً ، فأنت يا ليكوسيا قد أكرمت مثوى فارس صنديد ، ظاهر ولدى آخيلوس بن پيلوس إذ هو بنار الحرب صال . وأنت — يا أفريون — قد عطفت على إحدى فتياتى — ربة البحر ليكوسيا — وكنت من سؤلك قاب قوسين أو أدنى ... لقد أحب كل منكما أخاه وأعلى مقامه . وإنى بكما لفرحة طروب ؛ وإن لكما عندى أحسن الجزاء فالنساء فى واحد مما أرى ... أنا مستطيعة — يا ليكوسيا — أن أمحو — قبل أن أسرحك — ما تخلف بقلبك من ذكر هذا الآدمى . وأنا — يا أفريون — زعيمة بأن أهبك هيئة الحوت مبقية لك على روحك الآدمى وعقلك ، كى تعيش مع ربة البحر رغداً سعيداً ... ولكنى أفضل أن أهبكما السعادة كما ترغبان ... والآن يا ليكوسيا ! أأنضو عنك ثوب الخلد ثم تعيشين فى دنياه إلى حين ؟

— يقيناً ! فما فى الخلد من غناء !

— لا شكر لك ولا أجر !

— آه ! مولاتى ! لأجل بك الصفح وأولى ! كنت أتحدث عن نفسى !..

— لا تثريب عليك الآن . فانى أفهم ما تقولين جيداً . والآن ! أتصبحين آدمية ؟!

— نعم !

— إذن فكونى بشراً سويا !

ولمستها برحمها الرشيق فاذا هى امرأة تسعى .

— والآن يا فتاتى ! أسرعى إلى تلك الراهبة فى ذلك الدير القريب واسأليها إزاراً وبرداً ثم سيرى خلف فتاك ولا تعصى له أمراً ...

وعقل الفرح لسانيهما ، وعطل الذهول حواسهما فما استطاعا شكراً ولا سجوداً ...

وانفتل العاشقان .. وابتسمت لهما إذ يودعانها . ولكن ما أمر بسمتها .. ابسمة حزينة مشفقة ! لقد خامرها الشك فيما وهبت من سعادة ونعمة .

السيد محمد العزابى

من القصص الأدبية

سارقة الأطفال

للكاتبين القصصيين " إركمان وشاتريان "

بقلم السيد صلاح الدين المنجد

في سنة ١٨٧٠ ، كان يُرى في مدينة « مايانس » ، امرأة شاحبة الجسم فارهة القد ؛ قد لصب خدّاها ، وسهمت عيناها ونال منها السقم والضنا ، تضل في الشوارع ، وتطوف الأحياء وتغمغم بصوت خافت حزين : دوبش ... دوبش ... أين أنت ياولدي .. !

كانت تسمى « كريستين » وكانت صورة للجنون المتصل والألم الدائم . فقدت عقلها بعد أن اختطفوا منها طفلها الصغير قبل عامين وهي تتنزه في شارع « القوارب الثلاثة » في عتمة الليل العابسة . فصاحت آنئذ وعَدَتْ ، ثم أعولت ونادت ، ثم فتشت عنه في كل مكان .. حتى في البحر المضطرب العميق ، وسألت عنه من رأنه ، من أطفال وولدان .. ولكنها ، وآسفاه ، لم تجد له أثراً في البحر ، ولم يحدثها عنه إنسان ..

من ذلك اليوم . لم تتمتع كريستين بالعيش أبداً . أصبحت لا تطأ أرض دارها التي صارت رهناً للبلى إلا قليلا ، ولا تذوق عيناها المذعورتان طعم النوم إلا غراراً . فهي هائمة على وجهها في الشوارع والطرقات . تنادي ابنها بصوت يرتفع تارة فيرعب ، ثم ينخفض أخرى حتى ما تسمع منه سوى زفرات تتصعد ، وأنات ترسل ، وجمجمة تمزق الصدر وتلهب الحشا ، وحتى لا يتمالك الناظر إليها من الرثاء لها والاشفاق عليها ، فيقدم لها من الطعام ما تأكله ، ويجود عليها من الخرق الممزقة بما تلبسه . مسكينة ! لقد كانت القلوب تتفطر حزناً لمنظرها وتتصدع أسى ، وكان نداؤها لابنها حزيناً باكياً ، يستدعي الرحمة ويستدر الشؤون .

ولم تكن كريستين وحيدة في هذا المصاب ، إذ فقد كثير من الأشراف أبناءهم ، ولقد حاولوا عبثاً معرفة أولئك اللصوص الذين يتكلون الأمهات إذا ما جاء الليل وابتلع الكون ، وأقفرت الشوارع . وعلى الرغم مما بذله هؤلاء الأشراف من جهد ، وما أنفقوا من مال ، فان السارقين بقوا مجهولين لا يعرف مقرهم ولا يهتدى إليه .

في إحدى أمامي أكتوبر من تلك السنة ، جلست كريستين إلى عين ماء ، بعد أن طافت المدينة وزارت الأحياء . وقد قف شعرها الرمادي ، واغبر وجهها الشاحب الكئيب ، وأخذت تنظر حولها بعينين تائهتين تارة ، وترق ببصرها الحائر إلى السماء أخرى .. كأنها تسأل الأرض والسماء والكون عن وليدها المفقود . وكانت الخادمات يأتين إلى النبع ليملأن جرارهن ويرجعن عجالاً ، لا يقفن كعادتهن ليتحدثن بما يقع لهن في الليل أو النهار من حوادث ،

تعريف

إركمان وشاتريان أديبان فرنسيان كبيران ، أصدرا معا ، كثيراً من الروايات والأقاصيص التاريخية . وقد اشتهرا بأسلوبهما الذي تغلب عليه السهولة في التعبير ، والدقة في الوصف .

وقد أجادا في وصف عادات أهل الأرياف الأقدمين ، ومن أشهر مؤلفاتهما : الصديق فريتز ، مدام تيريز وغيرهما

ومايسمعنه من أخبار ، وكانت المجنونة ساهمة واجمة . لا تتحرك ولا تتكلم . وكان المطر يرش رشاً خفيفاً . وقد بدأ الظلام يغمر الشوارع ويظلل الدور .

ودقت الساعة السابعة . فلم تتحرك كريستين ، بل راحت تجمجم : دوبش .. أين أنت يادوبش .. وفجأة النمت عيناها ، وتقلص جسمها ، وتطاول عنقها وأخذت تنظر ... إلى امرأة كانت تمر فى الجانب الثانى من الشارع ، وقد التفت بثوب فضفاض وحملت بين يديها فى قطعة من قماش شيئاً يلبط ويتحرك ، ويقفز يريد الخلاص

وكان منظر المرأة يثير فى النفس الشك والريب وكانت تمدو كسارق يريد الاختفاء عن الأعين . فاعترت كريستين هزة مخيفة . . فراحت ترتجف وتتمتم كلمات مبهمة غريبة . ثم قفزت فجأة وانطلقت تعدو فى أثر المرأة وتنادي بصوت مرعب : السارق السارق ... اقبضوا عليه .. اقبضوا عليه ..!

ولكنها ما كادت تلحق بها حتى اختفت المرأة فجأة.. كأنما ابتلعتها الأرض !

هنا لك .. وقفت كريستين تبكى .. لقد كادت تعرف مقر ابنها . ولكن .. ولكن وآأسفاه ، اختفت السارقة فى هذا الظلام المرهب ، وساد السكون .. فلا صوت إلا خرير الشلال المتساقط البعيد .

وراحت المجنونة تلطم على وجهها ، وفى صدرها كلام تجمجمه كأنه أزيز القدر ، وفى ناظريها وميض يرعب ويخيف ، ثم عادت أدراجها ، ومرت بشارع القوارب الثلاثة وهى تتمايل كالسكران ، واجتازت ساحة غوتمبرغ وقصدت إلى مقر رئيس الشرطة .

ورأته فى غرفته ، وفى يده قدح من الشاى ، فقالت له وهى تبكي :

— سيدى الرئيس . . لقد عرفت سارقة الأطفال . . اسرع ياسيدى واصغ إلى . . ! وكان رئيس الشرطة ذا قلب كالحجارة أو أشد قسوة ، وكان ضيق الصدر متبرماً بالناس ، يحب الإخلاد إلى الراحة إذا أسدف الليل وأكل الطعام . فأزعجه مرأى هذه المجنونة فنادى بها مغتاظاً :

— يا إلهى ! ألا أستريح لحظة واحدة طوال النهار ؟ أرأيتم بالله مخلوقا أتعس منى أو أشقى . . ؟ ماذا تريدين منى .. ؟ لم تركتموها تدخل ..؟

— آه يا سيدى .! تسأل إن كان هناك مخلوق أتعس منك .. أنظر إلى .. أنظر إلى ياسيدي .. هه .. أنا مجنونة ؟. لقد كنت ذلك قبل أعوام ..! اما الآن. هه . . هه . . لقد رأيتها ياسيدى تحمل طفلاً . . أقسم لك .. آه أين أنت يادوبش .. ياولدى ..!

— عليك وعلى طفلك ، وعلى السارقة اللعنة. اعزبى عن وجهى .. حقاً إنك مزعجة . هانس .. أطرد هذه المرأة .. اسرع .. ياهانس اسرع !

فجاء الخادم وحيا الرئيس فقال له :

— أطرد هذه المرأة . وغداً سأطلب زجها فى السجن .. هيا أخرجها .

عندئذ راحت كريستين تضحك . . وتقهقه وتغنى .. فجاء اليها الخادم وقد امتلأت نفسه شفقة عليها وقال :

— هيا يا كريستين .. هيا .. تعالى واخرجى .

وعاودها الجنون . . فخرجت تنادى : دوبش دوبش أين أنت ياولدي ..!

* * *

وفى الوقت الذى راحت المجنونة تنادى طفلها ، كانت مركبة رئيس الحرس الامبراطورى تجرى فى شارع « إرسنين » ثم تتوجه نحو مقر صاحب الشرطة

وترك الكونت رئيس الحرس مركبته وقصد دار الرئيس بلباسه الرسمى الأخاذ ، وكان فى الخامسة والثلاثين من عمره ، أشقر اللحية والشعر ، آتاه الله بسطة فى الجسم وقسوة فى الطبع . فرأته كريستين فضحكت منه ، ثم دخل على رئيس الشرطة فحياه وقال له :

— سيدى رئيس الشرطة ! إن حراسك كسالى متقاعسون . منذ عشرين دقيقة وقفت مركبتى أمام باب الكنيسة الكبرى فرأيت الكونتيس م ... ، فتركت طفلى فى المركبة وجئت لأستقبلها ، ولما عدت إلى المركبة لم أجد طفلى ... لقد حاولت أن أعرف السارق ولكننى فشلت ، لقد يئست من معرفتهم ... لقد يئست !

وسكت الكونت ، وجفف دمعتين محرقتين انحدرتا على خديه ... وتنحنح رئيس الشرطة وأراد أن يؤجل أمر البحث عن الطفل إلى الغد .. ولكن الكونت قال :

— إننى سأنتقم ... إن عليك أن تحضر لى ولدى ... وإن عليك أن تسهر على راحة الناس .. إنك مهمل ... حذار ... حذار ... منى ، أتسمع ؟

وكان العرق يتصبب من جبين رئيس الشرطة على الرغم من البرد القارس ، فقال له :

— إنه الولد العاشر يا مولاى ... ! ماذا تريد منى أن أفعل .. ! إن السارقين مهرة جداً .. وإنهم لـ..

— ماذا أريد أن تفعل ..؟ أهذا جوابك لأب يطلب ابنه منك ...؟ آه يا ...

— هدئ روعك يا مولاى ... لقد كانت هنا منذ دقائق ... امرأة مجنونة ... اسمها كريستين لقد قالت لى .. إننى أذكر .. نعم ، هانس .. هانس

وجاء الخادم فقال له الرئيس :

— فتش عن كريستين

— إنها لا تزال هنا يا سيدى

— دعها إذن تدخل

— إجلس يا مولاى الكونت ... إجلس

ودخلت كريستين فقال رئيس الشرطة :

— مولاى ... لقد فقدت هذه المرأة ولدها منذ عامين ... وفقدت بعد ذلك عقلها ...

ورأرأ الدمع فى عينى الكونت وقال :

— ثم ماذا !

— لقد جاءت إلىّ وقالت ... لى ...

— تكلم ماذا قالت لك ؟

— قالت لى إنها رأت امرأة تحمل طفلا

— وأين هذه المرأة ؟

— لقد حسبت أنها تهذى فطردتها ...

— طردتها ... !

— نعم ... نعم ... حسبت ...

فاغتاظ الكونت وثار وصاح :

— يالك من ... إنك تعين السارقين . آه ! أنا ما رأيت رجلا أصفق منك وجهاً .. إنك لجبان .. حذار منى ... لئن لم تجد لى ولدى لأقتلنك ، ثم لأمثلن بك ، ولأطرحنك إلى الكلاب ... !

وترك رئيس الشرطة يرتجف خوفاً وفرقاً ، وقال لكريستين :

— أيتها المرأة ... أجيبيني ... أين رأيت السارقة ؟

— دوبش ... دوبش ... لقد قتلوه

— لكن أين السارقة ؟

— واحسرتاه ! إنهم قتلوه ... نعم قتلوه ...

وتركت الكونت ينظر إليها ، وانثنت راجعة من حيث أتت وهي تبكي وتنادي: دوبش... دوبش أين أنت يا ولدي ؟ ...

وهبّ الكونت ليلحق بها فناداه رئيس الشرطة

— سيدي الكونت ...

— صه يا ...

وراحت المجنونة تعدو وهي تتمتم ألفاظاً سقيمة الجرس، غريبة المعنى، والكونت يتبعها ويقول لنفسه:

— لقد ضاع الولد، وخاب الأمل ... إن هذه المرأة لا تدري ما تفعل ولكن ... من يدري لعلّ شعورها الخفي يقودها نحو مكان السارقة فلأتبعها إذن على أن أنقذ الطفل وأرجعه إليّ

مضى الكونت في طريقه يتبع خطوات كريستين . وكان يراها على الرغم من الظلام الدامس والضباب الكثيف الذي غمر المدينة ، ويسمع أنينها وزفراتها على الرغم من الهواء السكران النائح . ووهن الليل ... ثم عسعس ، وما زالت كريستين تمشي ... لقد طافت حول المدينة والكونت وراءها تدفعه الأماني ، وتقوده عاطفة الأبوّة الحلوة ، ووصلت إلى النبع الذي تركته لتلحق بالسارقة عند ما كان الليل طفلا ... وكانت تغمغم كلمات تبعث في النفس الحزن والكآبة . وأظلمت الدنيا في عيني الأب المفجوع ... فراح يدعو ربه . وكان القمر يظهر من وراء الغيوم تارة ويختفي أخرى ، فينير الأرض مرة ، وينشر عليها رداء رقيقاً من الحزن مرات ... وفجأة انطلقت المجنونة كالسهم ... إلى أحد الشوارع ... فتبعها الكونت ... وكادت أن تختفي عنه ، ثم اختفت ، وضاعت في الظلام

وحار الكونت في أمره ، ثم رأى نوراً يظهر تارة ، ثم يختفي من ثقب في زاوية الشارع ، كان مصدره نفق في الأرض ، فتقدم نحوه ، فرأى كريستين واقفة تبكي... فلما رأت الكونت نادت : هذا بيت السارقة ... لقد رأيتها الآن ... إنها هنا ، فبرقت عينا الكونت ... وثار ثائره وحطم باب الدار ودخل ووراءه كريستين

ودقت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل في كنيسة القديس إنياس

وسمع الكونت وقع أقدام ، ثم بكاء طفل ، كأنما سلط عليه العذاب... ثم رأى عجوزاً محدودبة الظهر ... في غرفة صغيرة ... تذبح طفلا ... لم يتبينه ، فجن جنونه ، وفقد وعيه ... وقفز نحوها ولكنه تدحرج سريعاً إلى هوة عميقة مظلمة ... !

وتنبهت المرأة ... وانطفأ المصباح ... وساد الظلام في الدار ... فراحت المجنونة تنادي ابنها دوبش ، وراح الكونت ينادي طفله الصغير ... وراحت العجوز تقهقه وتضحك

وسمعت أصوات تصدر من الدار ... واشتد اللغط ... والمجنونة تنادي ، والكونت يصيح ، والعجوز تجيب

— انتظروا قليلا ... سأعطيكم ما تريدون ... أولادكم ... أليس كذلك ؟

أخرجوا يا ... هيا وإلا ألحقتكم بهم ...

وأشعل المصباح ... وتقدمت العجوز ...

فرأتها المجنونة فوثبت إليها ... ولكن ... مسكينة لقد اجتذبتها العجوز إليها ثم أهوت عليها بطعنة تركتها تئن فى الأرض وتصيح

وقام الكونت ... فتألب عليه جمع من النساء لم يدر من أين أتين، ألفظتهن الأرض، أم أرسلتهن السماء ... وجرّد الكونت سيفه وضرب إحداهن ففررن ... فتبع العجوز ... واقتحم إحدى الغرف وهناك سقط مغشياً عليه لا يحس ولا يعى ...

لقد رأى ابنه مذبوحاً .. ! نعم مذبوحاً يا قارئى ورأى رأسه يتدحرج فى أرض الغرفة ، وأبصر يديه وقدميه ، وقد تمزق جسمه ، وسال هنا وهناك دمه ، وأبصر الجماجم والرؤوس معلقة على جدران الغرفة ، والفؤوس والمدى مبعثرة فى جوانبها ... آه ! يا للوحشية ! ويا للفظاعة !

* * *

لم يستفق الكونت من غشيته إلا فى صباح الغد فوجد نفسه فى قصره بين الخدم والحراس ... إذ ألفته المرأة فى زقاق بعيد عن دارها بعد أن أشبعته طعناً بالمدى . فنقله المسن إلى قصره بعد أن عرفوه

وعلمت آنئذ أن تلك المرأة كانت تبيع اللحم ! تخطف الأطفال ... وتذبحهم ، ثم تبيع لحومهم الطرية للناس يساعدها أربع نساء فى دارها

وفى تلك الليلة اختفت سارقة الأطفال ... ولم تظهر بعد ذلك اليوم أبداً ...

* * *

ترى ماذا يبقى فى المرأة إذا جردتها من عاطفة الأمومة ، وحب الأطفال ؟ ...

« دمشق » صنوع الدين النجار

الصيف خفيف هذا العام

لان

شركة مصر للغـــزل والنسج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

الخفيفة على اختلاف انواعها

معتدلة فى أثمانها جميلة فى ألوانها

فبادروا في اخذ طلباتكم

فنان

للكاتب الايطالى "أدريانو روكولى"

بقلم الأديب محمد حبشى

قالت الكونتس :

— هل شاهدت الكنيسة الصغيرة المشيدة على ذروة مونت سان فوستو ؟

فأجابها أرتورو أندوانى بسرعة عجيبة قائلا :

— أجل يا كونتس، زرتها منذ ثلاث سنوات غبرت ، وهى بديعة جداً ، وإنى لأذكر أن قدمى زلقت فى منتصف الطريق أثناء صعودى فسقطت إلى جانب الماء المتدفق هناك وأصيبت ركبتى برض فاستدعيت الطبيب فى اليوم التالى ، وإنه لطبيب نظامى لا نظير له ، وقد عالجنى بأسلوب غريب ..

وعند ذلك أنشأ أرتورو يفيض فى الحديث ، فروى سيرة الطبيب ، والوسائل التى يعمد إليها فى علاج الرضوض ، ثم خرج من ذلك إلى ذكر بعض أزهار معينة كان قد اقتطفها من سفح مونت سان فوستو

وهكذا سقط موضوع الكنيسة الصغيرة من الحديث ذى الشجون

وفى الواقع أن الكونتس عراها بعض الدهش لما ذكر الماء المتدفق ، غير أنها ظنت أنه ربما كان هناك ماء منهمر منذ ثلاث سنوات ثم غير طريقه فسلك مسرباً آخر . وعلى أية حال فقد كانت تصغى إلى القصة الصغيرة وتبتسم وعلى وجهها أمارات الرضا

كان هذا شأن الكونتس ؛ أما أنا فإنى أقسم أن الرجل ما غشى تلك الكنيسة قط ، بل إن بصره لم يقع عليها حتى من بعيد ، وفى مقدورى أن أحلف غير حانث أنه لايدرى أين موقع ذلك الجبل

لقد عرفت أرتورو منذ أمد بعيد فعرفت فيه الكذب ، وكان يكذب على الكونتس

ولكن لماذا يكذب ؟

لعله يسوؤه أن يُعرف عنه أنه لم يصعد مونت سان فوستو ، أو لعله يستروح تسلية فى مجرد قوله « نعم » بينما قد يقول الآخرون « كلا » ، ثم هو سيسرد قصة ولا ريب متى أجاب « بنعم »

إن الرجل أستاذ كبير فى فن اختلاق الأكاذيب، وملم بفنه الإلمام كله، فيعرف الابتسامة التى تنم عن شىء بينما يكون الفكر منصرفاً إلى شىء آخر، كما يعرف أصول القصة الملفقة التى ينبغى أن ترتجل ارتجالا فى برهة قصيرة إذا استدعى المقام فجأة إنقاذ الموقف ، أو إخفاء بعض الظروف ، أو القضاء على شبهات وريب

وإنك لتراه وهو يكذب ثابت الجنان هادئ النفس وعلى وجهه الناعم المورد أثر السوداء والحزن كأن الصدق الذى يلقيه يجشمه بعض الجهد ، وكأنه لا يفضى به إلا إلى خلصائه ومن يثق بهم ، وما نعنى بصدقه إلا الأحاديث التى يبتكرها من العدم ونسميها نحن الكذب

ولأرتورو صوت منسجم هادئ دائماً ، ونظرات صريحة فيها ما يذكرك بنظرات النساء ، ولعينيه أهداب وطف ، وهما واسعتان وتنمان عن

ذكاء صاحبهما فى الاختراع والتأليف ، وتنظران إليك باقناع لطيف يسل من نفسك أى شك يقوم

وتكاد ابتسامته أن تكون مبهمة غامضة إلا أن التهيب ظاهر فيها ، وتراها فترى التوسل وطلب المعونة والتماس الموافقة

وبذلك الصوت ، وتلك النظرات ، وهذه الابتسامة استعان ارتورو على الكذب كما استعان أيضاً بذلك الجمال البارع الرائع الذى أفرغته عليه الطبيعة إفراغا

وقد دأب على الكذب نيفاً وثلاثين سنة بلا وجل ولا فتور وكأنه مكلف بأداء واجب مقدس. ويكذب فى العظيم من الأمور وفى الصغير منها ، إما رغبة فى الكذب كما سمعت من حديثه مع الكونتس، أو تظاهرا بالورع والتقوى ، أو إشباعا لرغبة سيئة، أو اضطلاعا بالتزام اجتماعى ، أو لمجرد التغرير والايقاع بالغير

ثم إن الطبيعة حبته نعمة تعينه على ما هو بسبيله دوما ، وإنى أرى هذه النعمة من ألزم الأشياء له ، وهى ذاكرة هائلة عظيمة

وإن الذاكرة الواعية التى يستخدمها الناس فى شؤون حياتهم لا يعدها ارتورو شيئاً ذا قيمة إن لم تكن معينة له ومسعفة فى ميدان الكذب

وبفضل هذه الموهبة النادرة جداً والمثيرة للحسد يفعل ارتورو العجائب ويأتى بالدهش المستغرب

ومن أمثال ذلك أنه بلد له ويطيب فى بعض الأحايين أن يخبر أناساً مختلفين بأكاذيب مختلفة تدور جميعها على أمر واحد معين ، ثم هو يخترع لكل فرد منهم تفصيلات يرويها للآخر على صورة تباين الأولى وتخالفها ، وقد يعيد بعد شهر أو عام أكاذيبه كما رواها لكل واحد دون أن يخرم منها حرفا

وقد خيل إلى بادىء ذى بدء أن الرجل يستعين بذاكرة يدون فيها أعظم ترهاته وأكبر أكاذيبه ويثبت فيها أيضاً أسماء ضحاياه، غير أنى مالبثت أن أبعدت هذا الرأى . لأنه لو عمد إلى ما تخيلته وتوهمته لما وسعت خرافاته المجلدات مهما كثرت ، إذن فالأمر الذى لا يرقى اليه شك أنه يطبع كل كذبة يرسلها على صفحات عقله وناهيك به من طبع لا يمحوه كر الأعوام

وإذا اتفق وذكرته مثلا بألوان القصص الخرافية التى حباني بها وحدى فى غضون سني صداقتنا الطويلة لما أعجزه أن يعيد على مسمعى رغم الأعوام التى تصرمت أول أكذوبة أتحفنى بها ..

ثم هو فى غنى بعد عن أن يتذكر دائماً كل شىء بحذافيره فلو تصادف أن تعثر فى حديث له فانه يبادر إلى إصلاح ما أفسد بمهارة لا يكاد يصدقها العقل ، وهكذا ينشل نفسه من نفسه ويخلف السامع مشدوها فاغراً فاه

ولم تعرف زوجة ارتورو (نعم ان لارتورو زوجة . . . ألا يمكنك أن تتصورها ؟ . . . يالها من امرأة مسكينة) من أمور بعلها إلا ما يطيب له هو أن يطلعها عليه كأن يخبرها بقصة يحشوها بالاغراق فى المبالغة ، أو يروى لها حكاية مضحكة أو أي شىء آخر ، إلا الصدق ...

سافر ارتورو مرة إلى روما فلما آب اتفق أن سألته زوجه عمن رأى هناك فذكر أسماء عديدة من جملتها اسم الكونت سجارجى

وفى مساء نفس اليوم ، وكانا على الطعام مع آخرين اتفق أن قال فى كلام له :

— وهل تعلمين أن سجارجى كان هناك أيضاً ؟

فقاطعته زوجته بقولها :

— ولكن أليس سجارجى فى روما كما قلت ؟

فقال من فوره :

— هذا هو أخوه ، وأنت تعرفينه أيضاً

— لا يا عزيزى

— لا ، بل تعرفينه يا عزيزتى

وجرت بعد ذلك مناقشة قصيرة جهدت السيدة المسكينة خلالها أن تتذكر سجارجى الآخر الذى يزعم بعلها أنها تعرفه أيضاً ، ولم تطرح على زوجها سؤالا يبدد حيرتها ففاتتها فرصة الاهتداء إلى الحقيقة

وكنت من جملة الجالسين إلى المائدة فسألت نفسى بقولى : ترى أى الرجلين موجود فى هذه الحياة الدنيا ، سجارجى روما أم سجارجى ميلان ؟ ولماذا اخترع أرتورو وجود واحد فى العاصمة وآخر فى مدينة ؟

إننا جميعاً نعلم علم اليقين أن ليس فى العالم كله سوى واحد يدعى كونت سجارجى ، ولكن أين هو الآن ، أفى روما أم فى ميلان ؟.. وظل السر فى بطن الكذاب الأعظم

وإذا ضبط أرتورو فى أكذوبة أو أحرج فانه لا يتردد برهة في سوق البراهين على أنك مخطئ ، وأنك لم تفهمه كما يجب ، وربما يتواضع ويقول إنه لم يوضح حديثه جيداً ولذلك نبت الشك فيه

ولأجل أن يعبر فى وضوح وجلاء عما يقصده يعمد إلى تشييد قصة أخرى حول قصته فاذا أردت أن تتفهم تماماً ماوراه أولا وأخيراً لتعين عليك أن تنفذ خلال ذلك التيه من التفصيلات والجزئيات والحواشى ... وهذه خطة عسيرة ومراد مرهق فلا يسعك إلا الرضا بالتسليم ، وقد تتهم نفسك بأنك لم تفهم أقواله جيداً كما ألقى الفنان في روعك إذن هو ما أراد التوضيح والتفسير بل التعجيز والارهاق ...

وقد يكذب ليطيع روحه الخيالية أو مزاجه المتقلب الغريب الأطوار

خرج ذات صباح للتروض غير أنه بدل أن يعود مساء أو بعد موهن من الليل انقطع عن بيته وأهله ثلاثة أيام سويا

وليس فى غياب ثلاثة أيام ضرر عظيم ، بل وليس ثمة ما يمنع الغائب عن الاعتراف بالسبب الذى غيبه عن بيته ، وأى إنسان يمكنه أن يعان فى صراحة كيف قضى أيام غيبته ، إلا أن أرتورو ليس بالرجل العادى فلا تطلب منه ما تطلب من سواه

وأرتورو أكبر وأعظم من أن يدع تلك الفرصة تمر دون أن يطلق لخياله الخصب العنان ويصوغ سلسلة من الحوادث المعقدة وإن لم تقع قط

وارتجل أرتورو كذبة بارعة بدون أن يجهد فكره فكان مثله فى ذلك مثل الفنان القدير الذى يخرج فى زمن قصير أبدع الطرائف وأثمن القطع الفنية التى لا يتأتى للفنانين الآخرين إخراج مثلها إلا بعد عناء ومشقة تطول أعواماً

طلع على أهله بأنه اشترك فى مبارزة ، وعلل غيابه الطويل بقوله إن تسوية المسائل المتصلة بالشرف ليست من الأمور الهينة التى تعالج بسرعة فى يسر ويقضى فيها بدون روية واهتمام عظيم ... ثم لابد

قبل المبارزة من اختيار الميدان وانتخاب السلاح والموافقة على الشروط

وقد بارز فجرح منازله ...

ولكن ماذا جري له هو ؟

لم يصب ولا بخدش خفيف ، أدره وأدره ، وانظر إليه من كل ناحية ... لم يصب ولا بخدش خفيف ...

وتم كل شيء على أحسن ما اشتهى ورام ، وقد طعن بسيفه ذراع غريمه طعنة جعلته الآن طريح الفراش ...

ويصيح أحد أقاربه قائلا :

يالها من حادثة ! أتجازف بحياتك ، ولكن لماذا ؟

وكان ارتورو لم يفكر بعد ذلك في اختلاق سبب المبارزة ، والمرء لا يبارز رغبة في أن يرى جسده مثخنا بالجراح ... وكان الفصاص الأعظم لم يقدر أثناء الكلام هذا السؤال بل ولم يدخله في حسابه ، وإن كان من المعقول والمنتظر أن يلقى السؤال

وسمع ارتورو السؤال دون أن تهتز له شعرة ، ولم يزد على أن ابتسم ابتسامة الحذر الأريب ، ثم ألقى نظرة لطيفة متوسلة فأدركوا جميعا ما شاء أن يدركوه

إن من أسباب المبارزات أسبابا لا تفشى ... إنه شرف امرأة .. أو إنه فضيحة امرأة (والشرف والفضيحة كلتان مترادفتان في بعض الأحوال)

وقال قريب آخر له ولع بالمنطق :

— ستتسرب أنباء الفضيحة إذ ستنشر الصحف كل المسألة من ألفها إلى يائها ...

فقاطعه ارتورو بقوله :

— أنت تهذي ، سترى أن الصحف لن تشير إلى شيء فلقد مررت مع الشهود على دورها ولم أزل بالشرفين على تحريرها حتى استخلصت منهم وعدا بألا ينشر شيء . أجل لن يقولوا كلمة واحدة ، وستصدر الصحف غدا وليس في واحدة منها كلمة عن المبارزة . وأتوسل إليكم أنتم أيضا أن تصونوا سري ، وإني ما بثثتكم إياه إلا لأن المرء الكريم لا يضمر شيئا دون أهله وناسه ... وأتضرع إليكم ألا تستمروا سرى على نحو ما !

فبادر السامعون إلى رفع أصابعهم إلى شفاههم ووقفوا جامدين وكأنهم يتآمرون . وجعل ارتورو يتصفح وجوههم وجها وجها ثم ابتسم وآوى إلى فراشه ... يالله من فنان !

ولم تشر صحف الصباح إلى المبارزة ... وكان ارتورو قد أمر بابتياع كل الصحف ، فلما جيء له بها راح يقلب طرفه فيها باهتمام كبير ، هذا وأهله حوله وقد علقوا أنفاسهم من فرط القلق

ولا كلمة واحدة ...

لقد بر الصحفيون بوعدهم ...

وأجال ارتورو بصره فيما حوله وعلى فمه مثل تلك الابتسامة التي أجلاها أمس ، وقد افتر لما رأى القلق مرتسما على وجوه ذويه

وقال بينه وبين نفسه : هذا الأهل البررة ، لقد ابتلعوا جميعا الكذبة ، يالها من مزحة !

وليس أرتورو دائما بالرجل الفاضل المحب للنظام إذ قد تصادفه حال يكشف فيها عن مثل براثن الأسد ، وذلك حين لا يكون ممازحا أو متهكما في حديث سداه الغرابة ولحمته التهويل ؛ ثم تواجهه حاجة قد أوجدتها ضرورة ملحة من ضرورات حياته اليومية

وإنك لتراه إذا ركب ذلك المركب متأهباً فى صبر وجلادة لتنفيذ أية مكيدة وتدبير أية خطة ، ويفعل ذلك قبل وقوع الأمر بأشهر

وقد يلقن فى حديثه كلمة اليوم ، ويدس أخرى غداً ، وثالثة بعد أسبوعين ، وهذا شأنه إذا ما أراد أن « يخلق الجو » على حد تعبيره ، حتى إذا ما بصر بالثمرة وقد أينعت وحان قطافها لا يكلف نفسه أكثر من أن يهز الفرع هزة خفيفة فتهوى الثمرة بين قدميه

كيف يستطيع أن يشخص إلى باريس ليشهد افتتاح « الصالون » الحديث دون أن تصطحبه زوجه الغيور ؟

إن سافرت معه فستمنعه ولاريب من التطواف طويلا فى مدينة تضل العابد وتفتن الزاهد

ولكنه سافر

وسافر بمفرده

وكيف ؟

بفضل العمل فى هدوء وصبر قرابة ستة أشهر ، العمل فى اختلاق قصة من قصصه المألوفة

وإنى إذا حاولت أن أسرد ما حاكه ودبره فى غضون نصف عام لما اتسع المقام ، ولذلك أراني في حل من أن أذكر الخلاصة كما يذكرونها فى برامج دور السينما

يتعرف أورتو إلى السنيور كارلو روستنى ويقول لزوجه ذات يوم إنه تعرف أخيراً إلى السنيور كارلو روستنى أحد تجار الصور ، ثم يمسك عن ذكر اسم صاحبه الجديد خمسة أيام

ثم يقول :

— آه ، هل تعلمين أني التقيت بروستنى صباح اليوم ؟

وتمر ثلاثة أيام ويقول أرتورو لزوجه :

— إن روستنى رجل غريب الأطوار ، قابلته اليوم فاقتطع من وقتى ساعة أفناها فى الحديث عن الصور !

وتنقضى ثمانية أيام لا يحرك الرجل فيها لسانه باسم صاحبه ، ثم يقول :

— آه تذكرت ! أقول على ذكر ذلك : إن روستنى يعتقد أنى أفهم أصول الرسم الحديث ، وأكبر ظنى أن حوارنا أخيراً جعله يرى هذا الأثر فىّ ، ثم هو يزعم أن نصائحى سوف تنفعه نفعاً عظيما

ويمر أسبوعان فى صمت

ثم يقول الفنان لزوجته :

— آه تذكرت ما أنسيت أن أطلعك عليه ، إن روستنى مسافر إلى باريس

ويمسك أرتورو عن ذكر صاحبه أسبوعاً ويمضى ذات مساء إلى دار للتمثيل بصحبة امرأته ، وفجأة يحيي إنساناً غير منظور فتسأله زوجه بقولها :

— من هذا الذى تحييه ؟

فيرد عليها بقوله :

— إنه روستنى ، أتودين أن أقدمه إليك ، سأمضى إليه وأحضره ؟

فتجيب السيدة قائلة :

— كلا

فيبتسم ارتورو ، وكان يتوقع ما أجابت به ، ثم يقول :

— عرض روستنى على اقتراحا سخيفا : إنه يبتغي أن أرافقه إلى باريس ليستأنس برأيي عند شراء الصور

وبطول الصمت ثلاثة أيام ثم يتكلم الفنان عن صاحبه فيقول :

— لا أكتمك أنى برمت بروستى وضقت به ذرعا ، لم يعد يشغله سوى الافضاء إلى كل من يقابله بأنى مسافر معه إلى باريس لأعاونه فى اختيار الصور ، ويزعم أنى نقاد وأن لدى ثقافة فنية تبعث على الحسد.

ومر أسبوع ولا حديث عن روستى ثم يقول ارتورو لزوجه :

— آه ياعزيزتى ، حقا انى لم أعد أطيق أن احتمل فوق ما احتملت . إن الجميع يتحدثون عن باريس . وعن معرضها ، وعن روستى ، وعن سفرى معه ، يجب أن أعترف لك ياعزيزتي بأنى قد أرمى بالبله إن مكثت هنا . من الواجب على أن أسافر ولكن انظرى ما انتهيت إليه بهذر ذاك الحمار ، أسبوعان ؟ ! لماذا ؟ يكفى أسبوع واحد ، أو أربعة أيام فقط ، بل انى أراها كثيرة . سأسافر لأكفي نفسى مؤونة فضول الناس ولأتقى مقالة من قد يقول عنى إنى أسرف فى الحديث وأخبط فيه خبط عشواء

ثم لايذكر صاحبه ولا يذكر باريس أربعا وعشرين ساعة

ثم يضرب الضربة الفاصلة

لقد انتهى من « خلق الجو »

يقول لامرأته :

— نعم ، أشهد أنى أكثر الناس سخطا على تلك المسألة ، ولكن من كان يتصور ياعزيزتى ان أقاويل ذاك التاجر سترغمنى ـ وماً على ركوب البحر إلى باريس ؟ هدئى من غضبك أيتها الزوجة الصغيرة !

سأذهب ثم أعود من فورى ، آه ، لو قدمنى ، في المستقبل صاحب إلى تاجر صور للكتته فوق أذنيه ، أتريدين أن أجعل من نفسى أضحوكة بالمكث هنا على حين أن الجميع ينتظرون رؤية الصور التى سأنصح روستى بشرائها ؟ وبعد فليست باريس فى طرف الأرض الآخر . . . النساء ؟ لم أفهم بربك وضحى ماترمين إليه .. إن النساء أشباه فى كل مكان. ألا توجد نساء هنا أيضاً ؟ ويلى على روستى لقد مكر بى واحتال على إلا أنها آخر حيلة أيضاً

وتأذن المرأة لبعلها بالسفر فيستقل القطار بمفرده وأين روستى ؟

تقدم بيوم ليلقى النظرة الأولى السريعة على صور « الصالون » ...

وسافر أرتورو إلى باريس حيث مكث شهراً ، وأود أن تعتقد أنه لم يكن فى باريس بمفرده ... كما رأيته فى القطار ...

وأرتورو وإن كان قد دبر الخرافة المضحكة بحذق ومهارة إلا أنها انتهت بمأساة ...

أسرف الفنان فى اللهو ومع أنه لم يفته أن يكتب إلى زوجته مراراً ويذكر لها ما ابتاعه صاحبه من صور والنصائح القيمة التى أسداها ، إلا أن الزوجة المسكينة ساورها القلق وانتابتها الهواجس والمخاوف

وإذا ما خلا المرء بنفسه قد يواتيه الانسجام فى التفكير بل وقد يصل إلى السداد فى الرأى فيقع على الحقيقة

ولما عاد أرتورو من رحلته راعه من زوجه أنها جابهته بقولها :

— أشتهى أن أتعرف إلى روستى المظيم .

فيتأملها ثم يقول :

— ولكنك رفضت أن أقدمه إليك في الملهى

— نعم غير أنى راغبة الآن فى التعرف إليه

— لاشك أن صديق سيسر ويطرب ، يا له من صديق عزيز ، إنه رجل ذكى مهذب ، وهو ذو حرص وبصيرة وستشاهدين منه ما يسرك

ومع أنه لفظ أقواله هذه وعلى شفتيه ابتسامته الهادئة المألوفة ، غير أنه كان بعيداً عن الهدوء والاستقرار . إنه ما واجه قط مثل هذا الخطر الداهم المرعب . لقد أصبح لزاماً عليه أن يفرد يوماً يدبر فيه الحيل التى ينقذه من ورطته

وقد أجاد التدبير وأتقنه بصبره المعروف عنه والذى دونه صبر القطط

وبعد مرور أيام قلائل على ذلك الحديث مرض روستى ، وانقضى بعض الوقت وهم لا يعرفون ما دهاه ، وذهب الأطباء فى مرضه فرقا ، وأخيراً استفحل الداء فنم عن نفسه وكشف عن سره . إنها الزائدة الدودية ، المرض الرفيع السامى ، وخشى الأطباء التهاب البريتون . وارحمتاه لك يا روستى ! أهكذا تمسى حليف الأوجاع والأسقام وأنت فى ميعة الصبا وشرخ الشباب ، وأنت الصديق الوفى الفاضل ؟ من كان يصدق ذلك أثناء المرض فى باريس ؟ كان روستى شفاه الله يناقش إخوانه فى الفنون ، ويعمل سحابة يومه بهمة وحماس ...

وبينا أنا أهم بالخروج ذات صباح إذ دخل على ارتورو أندولى فى لباس الحداد فصحت إذ بصرت به :

— آه ، من أين قدمت ؟

فأجابنى بقوله :

— من جنازة روستى المسكين ، لقد توفى أول من أمس ...

— من ؟

— روستى تاجر الصور

وكان ارتورو رفيق فى عهد الدرس والتحصيل ويعلم أنى أفهمه جيدا ولذلك اختصنى بأسراره

وذكر فى لهجة تقطر سخرية الفصة بأكملها ثم ختمها بقوله :

— وكان الخطر عظيما ، وكيف أقدم إلى زوجتى صديقا ما عاش إلا فى مخيلتى . لا أنكر أنى أشرت إليه فى الملهى ذات مساء غير أنى كنت أحيى الهواء ، ولا أنكر أيضاً أنى عرضت على زوجتى أن أقدمه إليها ولو أنها قبلت لدرت حول القاعد دورة ثم رجعت إليها أقول إنه غادر دار التمثيل فى نفس الوقت الذى رأيته فيه . ومما وعر الموقف وصعبه ما وضعته زوجتى من عقبات فى طريق ، وكانت لا تفتر عن ذكر روستى ، وتسألنى عنه دائماً حتى لخشيت من فرط إلحاحها أن ينتهى بى الأمر إلى أن أعتقد أنه موجود حقاً فى هذه الدنيا . ولما رأيت الضرورة تقضى بأن أضع للأمر حداً قتلته ، وها أنت ذا تراني قادماً من مقبرته بعد أن وارته التراب

ثم أخرج من أحد جيوبه ورقة ذات حواش سود وقال :

— وهذا نبأ نعيه ، وقد وصل إلى بالبريد أمس ، ولا أكتمك أنه سقط علىّ سقوط الصاعقة ؛ وقد أثر المصاب فى زوجتى أيضاً فهى حزينة واجمة . ولما رأت لوعتى على صاحبى فى اليومين الماضيين جعلت تعطف علىّ وتواسينى وتغمرنى بشفقتها . سألتك بالله أن تحدثها عن روستى المسكين إذا ما زرتها لأنه لاحديث لنا اليوم فى منزلنا إلا عنه ...

فضحكت وقلت :

— أنت مهرج كبير

فقال بلهجة المعاتب :

— يجب ألا تضحك

ثم جلس وأشعل سيجارة واسترجع يقول :

— نعم يجب ألا تضحك ، إن موت روستى المسكين خسارة فادحة منيت بها ، ولقد كنت أدخره لرحلات أخرى هامة قد تتراءى إلى الهند . والآن وقد فقدته فانى لا أدرى كيف أشخص إلى الهند مثلا

— متى أزمعت السفر إلى الهند فما عليك سوى أن تخترع شخصية مهراجا

فقال فى جدة ورزانة :

— رأى صائب . إنى أرى فيك بعض الحصافة ولكن أعدك بأنى سوف أدع المهراجا فى بلاده بعد انتهاء السياحة إذ ليس من الوفاء للأصدقاء أن أقتل كل من يطوف معى

ثم وقف وقال بعد أن استأذن فى الانصراف :

— يجب أن أذهب لأتناول الغداء ولأبدل ثيابى هذه بأخرى . لا تنس أن تذكر لزوجى ولو كلمة واحدة عن روستى المسكين ، وسأكون ممتناً لك جدا ... إلى الملتقى ، ليس لدى من الوقت إلا ما يكفى لتناول وجبة الظهر وتغيير الثياب إذ سيزورنى سيد انجليزى فى الساعة الثالثة ...

فقاطعته بقولى :

— لا فائدة من اختراع الأكاذيب أمامى ، إنى لا أصدقك

— لا ، لا ، أقسم أنى منتظر فى الساعة الثالثة قدوم ذاك الانجليزى

وتكلم فى لهجة المحتج الصادق ثم قال :

— والكونتس فيورا هى التى نصحت السيد الانجليزى بأن يزورنى . ألا تذكر أننا تحدثنا فى بيتك يوماً عن الكنيسة الصغيرة المشيدة فوق مونت سان فوستو ؟ حسن ، نصحت الكونتس السيد الانجليزى بأن يزورنى لأزوده ببعض المعلومات عن الكنيسة وعن أقصر طريق للوصول إليها

وأمسك عن الحديث برهة ، ثم انفجر ضاحكا وقال :

— لو استطاع ذلك السيد الانجليزى الاهتداء إلى طريقه فوق التل بفضل إرشاداتى لعددته عبقرياً فى فن تخطيط الأرض

وخرج وأنا أسمع رنين ضحكته يدوى فى البهو ، كان فرحاً مسروراً !

لقد خدع زوجته وسيخدع السيد الانجليزى كما خدع الكونتس ، ولعله خدعنى أنا أيضاً بتلك القصة الصغيرة عن الكونتس والسيد الانجليزى

إن أحداً لن يعرف الحقيقة أبداً ... !

محمد عيسى

اقرأ :

توفيق الحكيم

فى كتبه الثلاثة الجديدة :

همهم الشيطان

ثمن النسخة ٨ قروش

تحت شمس الفكر

ثمن النسخة ١٠ قروش

تاريخ حياة مصرة

ثمن النسخة ١٥ قرشا

تطلب من جميع المكاتب الشهيرة

الأغلال

للكاتب الفرنسي "بول هرفيو"

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الفصل الثالث

(ينكشف الستار عن قاعة في قصر من قصور ضاحية باريس ، للقاعة بابان ومخرج يؤدي إلى حديقة)

المشهد الأول

فرجان . وفالانتون

(فرجان منهمك في ترتيب الكتب على رفوف كبيرة ، فيدخل فالانتون ويديه شبكة صيد)

فالانتون — أيعنمك شاغل عن مرافقتي إلى الصيد؟

فرجان — ألا ترى يا صديقي ، أنني لا أنكف عن العمل كأنني سيدة بيت . لقد مضت عشر سنوات على انتقالنا إلى هذا القصر ولم أتمكن من جعل إرين تهتم بأي عمل

فالانتون — وهل هي جاءت عن طيبة خاطر إلى هذا القصر لتطالبها بالاهتمام بترتيبه ؟

فرجان — وهل بقي الانسان عشر سنوات مكرهاً ؟

فالانتون — (وهو يلهو بترتيب شباكه) إذا أكرهت المرأة مرة فلن ترضى أبداً

فرجان — ليس في حياة زوجتي ما يبرر سوء الظن بها ولعل هذا الاهمال طبيعة فيها ، لست أشكو منها . وقد انقضى العهد الذي اضطررت فيه إلى سوقها بيد من حديد

فالانتون — وهكذا قمت بواجبك نحو نفسك على ما نعتقد

فرجان — بل قمت بواجبي نحوها هي لأنني وقيتها السقوط وحفظتها من التدهور في زمن كانت فيه على شفير الهاوية لاضطراب أعصابها ، والحق يقال أنني مرتاح إلى ما فعلت ولست بنادم على ما أبديت من حزم وشدة . لقد أعادت العزلة السكينة إلى زوجتي ، ومنذ أصبحت أماً تغيرت أطوارها وأدركت معنى الحياة فهي راضية بما قسم لها

فالانتون — وهل يبقى من خلاف في زواج مرت عليه عشرون سنة ؟ إن الهرم باق السكينة على كل شيء

فرجان — ولكن الصاعب لا تزول من الزواج حتى بعد مضي خمسين سنة ، فأنا اليوم تجاه مشكل جديد يجب علي أن أستعمل الشدة في حله

فالانتون — سنعود إذن إلى المشاكسة القديمة

فرجان — لا بد من ذلك فان المسألة تتعلق بتعليم ولدنا رينيه وامرأتي تقاومني

فالانتون — إذا كان لا بد لكما من المراك فأرجو إرجاء الواقع إلى نهاية الصيف أي إلى أن أذهب مع زوجتي من بينكم

فرجان — ليت هذا الارجاء ممكنا ، فان اليوم ميعاد دخول التلامذة إلى المدرسة ؛ وقد قررت إدخال رينه إلى مدرسة تبعد خمسة عشر ميلا من هنا وأوجبت أن يكون هذا المساء بين أقرانه فيها . وبما أني أعرف طباع إرين فقد أردت توفير الحنق عليها مقدماً ، لذلك سترى نفسها أمام أمر واقع هذا المساء .

فالانتون — أنت إذاً ترغمها إرغاماً ولم تسألها رأيها

* انظر العدد الماضي من الرواية

فرجان — ولماذا أطلعها على أمر أنا واثق من رفضها له ، فاذا ما ساحت هذا المساء أكون وفرت عليها صياح شهر

فالانتون — (يستعد للخروج بشبكته) إن العاصفة على وشك الهبوب . فهأنذا ذاهب

فرجان — أى نوع من الأسماك تصطاد ؟

فالانتون — كل نوع أتمكن من اصطياده

فرجان — ولكن ما هي الأسماك التى تقع فى شباكك ؟

فالانتون — لا يقع فيها شىء

فرجان — أنت تجهل صنعتك يا عزيزى

فالانتون — لا بل هى الأسماك تجهل صنعتها ، فهى ككل شىء فى هذه البلاد تتاهى بالتفكير مستغرقة فى أحزانها فلا تدنو من الشباك

(يقول هذا ويخرج)

المشهد الثانى

فرجان . ثم إرين وبولين

(تدخل المرأتان من باب الحديقة وعلى وجه إرين دلائل الهرم وقد نعب برأسها الشيب ، وبولين تحمل طاقة من الأزهار)

بولين — لقد أنهكنا التعب

فرجان — إلى أين اتجهتما بهذه النزهة ؟

بولين — ذهبنا إلى الحرج ومنه إلى المرج ثم أردنا الخروج من السياج للدخول إلى المزرعة

فرجان — (متهيجاً) ولكن السياج يمنع المرور

بولين — لقد كان السياج مخروقاً فولجناه ، وكانت هناك امرأة تغسل على شاطىء وهى التى خرقت السياج

فرجان — إنها لوقاحة (إلى إرين) وماذا قلت لهذه المرأة ؟

إرين — سألتها عن صحة ابنها

فرجان — وبعد ؟

إرين — أعطيتها دراهم لتشترى أدوية له

فرجان — (يأخذ قبعته ويتجه إلى الباب) أما أنا فسأعلمها كيف تخرق السياج مرة أخرى

بولين — ويلاه ! ماخطر لى أن المسألة ستنتهى على هذه الصورة . بالله يا فرجان لا ترعب هذه المرأة المسكينة

فرجان — ولماذا أجازت لنفسها خرق سياجى ودخول أملاكى ؟

بولين — أفما تتعبك المطالبة بحقوقك دائماً يا فرجان ؟

فرجان — لو كان كل الناس على شاكلتى يعرفون ما لهم ويدافعون عن حقوقهم لكانت الدنيا على غير ما هى عليه الآن (يخرج)

المشهد الثالث

إرين . بولين

بولين — كان يجب عليك أن تردى زوجك عما يقصد

إرين — إنه يفعل ما يريد وليس لى أن أقف فى وجهه .

بولين — أنت الآن كما كنت من قبل ، تمر الأيام ملقية بغبارها على لمتك ، وقلبك ذلك القلب القديم لا يتحول عن عواطفه

إرين — ولن يتحول

بولين — يخيل لى أن المواصف قد سكنت بينك وبين زوجك

إرين — لم يعد ما يوجب النضال بيننا إلا أمر واحد أحاذر وقوعه

بولين — وما هو هذا الأمر يا ترى ؟

إدين — مسألة تعليم رينه

بولين — أظنه يستغرب مزيد انعطافك على ولدك يا إدين

إدين — إننى أكاد أعبده . لقد ضحيت بموتى من أجل حياته ، ولولاه لما كنت أدرج على الغبراء بل كنت مدرجة تحت أطباقها . إننى من أجل هذا الطفل أعيش وهو وحده يربطنى بهذه الدنيا ، فليس لى فى الحياة إلا حياته الواهية ونفسه الصغيرة المفكرة التى أحسبها مركبة من أنينى وأوجاعى فأنا لا أطيق الابتعاد عن رينه . وكيف أسلم تذكارى وضحيتى ودموعى لأيدى المعلمين ، لأيدى الغرباء ؟

بولين — وهل فاتحك فرجان بالأمر ؟

إدين — لقد تحدث إلى بشأن تعليم ابنه صراراً ، وإذ شعر بما يخالج ضميرى فهم أن حياتى معلقة بشعر الولد الصغير ، وقد مضى زمن دخول التلامذة إلى المدارس هذه السنة ولم يرجع إلى حديثه وإذا هو عاد إلى نغمته لأقفن فى وجهه وقفة اللبؤة تدافع عن شبلها

بولين — مسكينة أنت يا إدين ! أنت لا تحيين إلا بحياة ابنك ، وقد قضى عليك ألا تكونى لنفسك ومع هذا فانك ما كنت لتصلين إلى حالة أسعد من حالك اليوم لو أنك اتبعت السبيل الذى استهوتك محجته من قبل

إدين — من يدرى ؟

بولين — لا ، يا إدين ، لو أن حظك تابع إرادتك لكنت اليوم رازحة تحت وقر أشجانك ، فقد وفر القضاء عليك أعظم ما يقع على قلب رقيق كقلبك

إدين — لا أفهم ما تعنين

بولين — ويلاه ، ما كان أغنانى عن إعادة هذه الذكرى إليك !

إدين — تكلمى يا بولين

بولين — قولى لى الآن ، أفما كنت مصممة على الافتران بميشال دافرنيه

إدين — (تشيح بوجهها) لقد أكون فكرت فى هذا

بولين — أفما كنت أصبت بأشد الضربات لو تم لك ما أردت

إدين — كان علىّ أن أطلب هذه السعادة وأحصل عليها ، وما كان سيقع بعد ذلك فليس من شأنى

بولين — لا ، يا إدين ، لو كنت اقترنت بميشال لكنت اليوم على أسوأ حال . أفترين من السهل على المرأة أن ترتفع مع رجل إلى ذروة السعادة ثم تسقط منها بغتة وهو ميت بين ذراعيها ؟

إدين — لو أننى تزوجت به لما مات ... لكنت شفيته بقبلات غرامى ، ورددت عنه سهام الموت . لكنت منعت عنه الداء برد الشقاء عنه فى حياته المنفردة المؤلمة . لكنت وقيته كل إفراط مما أعلم (وتخفض صوتها كأنها تهمس همساً) وما لست أعلم

بولين — كان ميشال مصدوراً وابن مصدور

إدين — اسكتى

بولين — مالك ، يا إدين ؟

إدين — (تمالك نفسها بصعوبة) لا شىء يا بولين إنها فكرة الموت المروع ... ويلاه من التذكار لماذا تعيدينه إلىّ ؟

المشهد الرابع

(إرين ، بولين ، رينه)

(رينه ابن عشر سنوات ، يدخل بلهفة وينطرح على أمه)

رينه — أمى ... أمى ...

إرين — (قاطعة ذراعيها لابنها) رينه .. ياحياتي .. يا ملاكى الصغير تعال أقبلك (تقبله) دعنى أنظر إلى دلائل الصحة على وجهك فقد صرت قوياً وصرت شيطاناً

رينه — وعدنى أبى أن يأخذنى معه إلى النزهة

إرين — لاأسمح لك بالخروج مع أى كان بدونى

رينه — أواه ...

إرين — ماذا فعلت يا رينه حتى بللت أثوابك عرقاً وقد كنت تكتب مع معلمتك ؟

المشهد الخامس

(إرين ، بولين ، رينه ، فرجان)

(يدخل فرجان فيسمع العبارة الأخيرة)

فرجان — هذا يدل على تمرد المسيو رينه فان معلمته لا تقدر على ضبطه

إرين — يجب أن نغير كل أثوابك

فرجان — (يهز كتفيه) ما شاء الله

بولين — (تأخذ رينه بيده وتقوده) تعال معى فسوف أوبخك توبيخ النعمة فلا أضحكك ولا أبكيك

(تخرج بولين مع رينه)

المشهد السادس

(إرين ، فرجان)

فرجان — (وهو يتردد) على أن أتحدث إليك بشأن تعليم رينه

إرين — وما يدعوك إلى ذلك اليوم ؟

فرجان — لأن الأمر لا يحتمل التأخير

إرين — لماذا ؟

فرجان — لأن الولد قد بلغ العاشرة من عمره، وحين يبلغ الولد هذه السن ترتفع عنه سلطة الأم . لقد أبقيت رينه تحت سلطتك حتى اليوم لأن الأطفال يحتاجون إلى الحنان ، أما وقد خرج رينه من طور الطفولة فهو بحاجة إلى غير الاشفاق والتدليل

إرين — إذا كنت ترى تربيتى غير وافية له الآن فاستقدم له معلماً يعطيه الدروس فى البيت

فرجان — ليس الولد محتاجاً إلى العلم فقط لنستقدم له معلماً يعطيه الدروس فى البيت ، فهو بحاجة أيضاً إلى تقوية نفسه والاعتماد عليها ، هو بحاجة إلى المناظرة والاجتهاد والطاعة ، وكل هذه أمور لا يتعلمها الولد إلا فى المدرسة

إرين — ويلاه ! لقد عدنا إلى معالجة أمر لا أطيق ذكره . ألم أقل لك يا فرجان إنك تجنى على حياة رينه إذا أنت حرمته حنوى

فرجان — دعى هذه الأوهام يا إرين فان حبك لرينه سيكون علة شقائه ، فأنت أضعف من أن تتولى تقويمه وتهذيبه

إرين — وأنت تريد أن تبتاع له قساوة الغرباء ويلاه ! أتطلب القساوة لهذا الطفل الصغير الذى يتهدده الفناء حتى تحت جناحى ، هذا الطفل الذى لا ينام إلا مرتجفاً وأسمع سعاله المتقطع فى الليل وأجفف بيدى عرقه البارد ...

فرجان — تبالغين فى تدليل ابنك يا إرين فتجعلينه مريضاً ولن يشفى إلا حين يعيش كباقى أبناء الناس

إرين — إن ابنى لن يبارحنى

فرجان — إن ابنى سيكون مثلى فليس هو

خيراً مني . وأنا عندما بلغت سنه كنت دخلت المدرسة منذ سنتين . وسوف يأتي رينه إلى البيت يوم الأحد من كل أسبوع ولك أن تذهبي لمشاهدته على قدر ما تسمح قوة خيولنا

إرين — أكرر لك القول إن رينه مريض، وحياته رهن طريقة معيشته. أنا أعلم هذا وقد أثبت الأطباء ظنوني ومخاوفي

فرجان — ومن هم هؤلاء الأطباء ؟

إرين — كل الأطباء الذين تسنى لي استشارتهم

فرجان — وقد استشرت الأطباء دون علمي

إرين — نعم

فرجان — ما أشد جنونك، وما قال لك هؤلاء المحالون عن صحة الولد ؟

إرين — (باضطراب) قالوا إنه ...

فرجان — ماذا ؟

إرين — قالوا إن لمجتي وحدها أن تقيه الموت ، فعلي أن أداريه وأنظم معيشته بكل دقة

فرجان — ما معنى هذا ؟ إن لكل مرض اسماً فما هو اسم مرض رينه يا ترى ؟

إرين — أواه ، لكم تعذبني ، دعني ، أفما ترى لوعتي واضطرابي ؟

فرجان — أراك تخضعين اعتقاداً لأعصابك كما أخضعت لها حياتك ، ولعلك وصفت للأطباء من حالة ابنك ما شاءت لك الأوهام ، فقالوا لك ماتريدين أنت لا ما يقرر العلم . إنني والحمد لله ذو صحة كالحديد ولست أنت مريضة ليجيء ولدنا مسلولا ... وسوف نرى كيف تتحسن صحته بعد أن يقضي السنة في المدرسة

إرين — إنه لن يقضي فيها يوماً واحداً

فرجان — إيه ، ماذا تقولين ؟

إرين — عبثاً تحاول تنفيذ أمرك ، فانني سأقاومك إلى النهاية

فرجان — إذاً لم يبق سوى العمل ، تفضلي بإعداد أثواب رينه

إرين — ولماذا ؟

فرجان — لأنني سأذهب به إلى المدرسة

إرين — أتجسر ؟

فرجان — سيكون الولد بعد ساعة واحدة حيث أريد أن يكون

إرين — ولن يكون هذا ، لأنني سأحمي ولدي ولن أدعه يموت حتى أموت قبله

فرجان — لقد عادت إليك أعراض مرضك القديم ، ولكنني سأستعمل سلطة الأب لأشفيك كما استعملت سلطة الزوج فيما مضى

إرين — خير لك ألا تذكرني بما فعلت ... لقد كان انتصاراً باهراً ... وهذا الانتصار جدير بإعجابك لقد أحنيت رأسي ولكن قلبي لم يزل متمرداً ، ومنذ أحنيت جبيني أمامك وقرت على نفسي أن أنظر إليك وجهاً لوجه . أما الآن فها أنا ذي أرفع الرأس لأنظر إليك ؟ ليست الزوجة من تتمرد اليوم ، إن الأم هي المتمردة وما يقف بوجه الأم إلا قوة من السماء ... !

فرجان — أنت مغترة بحقوق الأمومة ياسيدتي

إرين — لست أعلم بحقوق الأم من الأمهات يا سيدي ، إننا نعلم هذه الحقوق علماً أوفى وأصدق من علم أي مشرع أفاك . لأن الله يكتب هذه الحقوق يوماً فيوماً مع نمو الجنين في أحشائنا

فرجان — أنا صاحب الحق وسوف أتمتع بحق باسم القانون

إرين — ويلاه من هذه الكلمة المروعة، لقد حطمت حياتى باسم القانون، وباسم القانون أيضاً تريد قتل طفلى بين يدى . ما أنت الآن أمامى إلا ما كنت منذ عشر سنين جلاد الانسانية وقاتلها باسم العدالة المضللة ، فأنت تسلط الحق بيدك لقتل الانسانية وعينك باردة كالثلج وقلبك متصلب كالصخر

فرجان — قولى ما تشائين إننى حر فى التصرف بولدى كما أشاء

إرين — أفليس بوسعى أن أقول لك كلمة تردعك عن منازعتى ولدى ؟

فرجان — إن الولد لأبيه. هكذا ينص القانون

إرين — لقد كذب القانون

فرجان — بل أنت تكذبين

إرين — لا ... لا ... لست كاذبة

فرجان — إذهبى وأعدى حوائج رينه

إرين — إسمع ، توقف

فرجان — (وهو متجه نحو الباب) أنا ذاهب لأعد العربة ، سوف نسافر الآن

إرين — (حائلة بينه وبين الباب) أشهد أمام الله أن هذا الولد هو لى وحدى

فرجان — (يدفعها بيده) هو لى أولا لأننى أبوه

إرين — (تصرخ بصوت هائل) لا، أنت لست أباه ... !

فرجان — (يدير وجهه بغتة) ماذا ؟ هل طرأ عليك جنون ؟

إرين — لا بل أنا ممزقة نقاب التمويه والخداع

فرجان — ماذا قلت ؟ أتدرين ما تقولين ؟

إرين — وهل أجهل ما تهتف به أحشائى ؟

فرجان — إنك تكذبين ... إنك تلجئين إلى آخر وسيلة يخترعها حنانك . قولى ... إعترفى ... تكلمى ...

إرين — إذا كنت تطلب ما يقنعك فاليك البرهان ، وليكن ما تريد . تذكر الآن . تذكر أننى أوصدت بابى فى وجهك منذ عشر سنوات حين كنت حاكمى وجلادى وما عدت إليك بعدها إلا مرغمة على احتمالك ؛ فافهم الآن

فرجان — ماذا ... ؟

إرين — لو كنت ممن يفكرون لأدركت أن المرأة لا يمتلكها إلا من يمتلك قلبها

فرجان — (وهو يرتعش) ويلاه ... لقد فهمت

إرين — لقد احتفظت بسرى فى ذلك الزمان واحتملتك لأنقذ حياة ولدى ، ولأجل إنقاذه اليوم أيضاً أرفع النقاب وأدفع بك إلى الوراء

فرجان — (يهجم عليها وهو يتميز غيظاً) يالله الشقية الجانية !

إرين — (تهرع إلى الجرس) إذا أنت مددت يدك ، دعوت خدامك

فرجان — ويلاه ... أبعد الخيانة فضيحة وبعد العار شنار ؟

إرين — تلك هى نتيجة مبادئك الفاسدة وقوانينك المضحكة ، لقد جررتنى قسراً إلى الكذب ثم إلى السقوط ، أنت هو المذنب وأنا لا أغتفر لك جنايتك

فرجان — من كان هذا الرجل ؟

إرين — لقد يكون ممن تعرفهم

فرجان — قولى، اعترفى، من هو هذا الرجل؟

إرين — أبدا ...

فرجان — وهل جاء إلى هنا ؟

إرين — إلى مكان قريب من هنا

فرجان — لا أفهم كيف توصلت إلى الاجتماع به

إرين — ولا أنا أفهم أيضاً

فرجان — وهل تكرر اجتماعك به ؟

إرين — ما يهمك هذا ؟

فرجان — أفلا يزال يجتمع بك

إرين — (تحاول إخفاء حزنها) لا، فانه ذهب منذ زمان طويل إلى سفر بعيد ... ولن يعود

فرجان — أفلا ترين من الجناية أن يحمل ابن غيري اسمي أنا وأن أكون مكرهاً على النظر إليه كأنه ولدى

إرين — هذا ما ورد في الشريعة التي مكنتك من البقاء زوجاً لي بالرغم مني وبالرغم من الأرض والسماء .

فرجان — ما كنت لأرتاب بعفافك أيتها المرأة ، عرفت أنك عدوة لي ولكن (تخنقه زفراته) ولكنني ما عرفت أنك امرأة ساقطة لا شرف لها

إرين — لكل سلاحه يا سيدي. لقد حاربتني بكل قوتك فحاربتك بكل ضعفي ...

فرجان — لقد كنت أدافع عن حق الصريح

إرين — ولكنك نسيت أن للطبيعة حقوقاً أقوى من حقوقك

فرجان — (وقد ظهر اللؤم على وجهه) لقد دفعك الغيظ إلى الاقرار ، فهأنذا محرر من كل واجب نحو ابنك ، غير أنني لم أزل صاحب الحق والسلطان عليه فلسوف أستعمل قوتي

إرين — لا ، بل أنت أعجز من أن تستعمل سلطانك بعد هذا الاعتراف

فرجان — وكيف ذلك أيتها المرأة ؟

إرين — لن يذهب بك اللؤم إلى الانتقام من طفل ضعيف

فرجان — مالي ولضعفه

إرين — ما أقدمت على الاعتراف إلا لأنني أعتقد بأن ليس على وجه الأرض رجل يدعى التمدن ويقتال الأطفال مهما تمسك بالشريعة وتعزز بالقوانين

فرجان — وإذا أنا جحدت الشرائع والتمدن الآن ...

المشهد السابع

(فرجان ، إرين ، رينه)

إرين — رينه يا ابني

رينه — (يتجه راكضا نحو فرجان) أفانذهب إلى التنزه يا أبي ؟

فرجان — اسكت

إرين — (تجتذب ولدها إليها) اسكت ... اسكت ...

فرجان — أخرجيه لنتمم حديثنا

إرين — (إلى رينه) اذهب وانتظرني عند خالتك

رينه — لماذا يبكي أبي ، وهو لا يبكي أبداً ؟

إرين — إذهب يا ولدي ... إذهب

رينه — لماذا لا تبكين الآن، وأنت تبكين دائماً؟

إرين — أواه يا عزيزي ، لقد نفدت دموعي

(يخرج رينه)

المشهد الثامن

(إرين ، فرجان)

فرجان — لقد أصبح هذا الولد لك وحدك الآن ، فافعلي به ما تريدين ، لقد قلت حقاً ... إنني لن أستطيع تعذيبه ، وأكاد لا أجد القوة الكافية

لقتل محبتي له ... (ينتفض بشدة) خذيه من هنا ، اذهبي به إلى حيث تريدين

إرين — لا ، لن أذهب من هنا

فرجان — وكيف يمكنك البقاء ؟

إرين — سأبقى من أجل ربنه ، فما أرضى بأن أطرد وأهان . إن لهذا الطفل حقاً أن يقيم في المجتمع أدبياً ومادياً فهو ابن الشريعة ...

فرجان — سأكرهك على الذهاب

إرين — لن تستطيع

فرجان — لقد طلبت الطلاق أنت فيما مضى ، فهأنذا أطلبه اليوم

إرين — لقد رفضت أنت أمس وأنا أرفض اليوم . لم يعد لي من مستقبل وقد تلاشت آمالي . فأنا أتحاشى كل تغيير وكل جهد . لقد شلت إرادتي فلسوف أبقى على ما أنا حيث أنا

فرجان — أتعترضين أن أحتملك احتمالا ؟

إرين — لا برهان لديك غير اعترافي ، فعليك أن تحتمل

فرجان — وهل أنت منكرة هذا الاقرار ؟

إرين — أتطلب أن أهتف به عالياً أمام الناس وأشهره على ملأ الاشهاد ؟

فرجان — (يتنهد ويبكي) ولكن كيف أعيش وأنت أمامي ؟

إرين — لقد احتملت هذا فيما مضى فاحتمله أنت الآن . كلانا مرتبط بالآخر وما ربطته عماوة الناس لا تقدر قوة على حله . هذه هي الشريعة ... لقد شمرت بؤقرها طويلا وحدي وقد آن لك أن تساعدني على حملها

فرجان — أفليس من عدل على الأرض ؟

إرين — بلى ، هنالك عدالة وهي حمل الشقاء بالمساواة ؟

فرجان — وما هي هذه المساواة وأنت مجرمة وأنا بريء ؟

إرين — لا بريء ولا مجرم هنا ... كلانا شقي وحيث يسود الشقاء تسود المساواة

(انتهى)

فليكس فارس

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأعداد الآتية

ص

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لموسيه ، والأذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزءين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين)